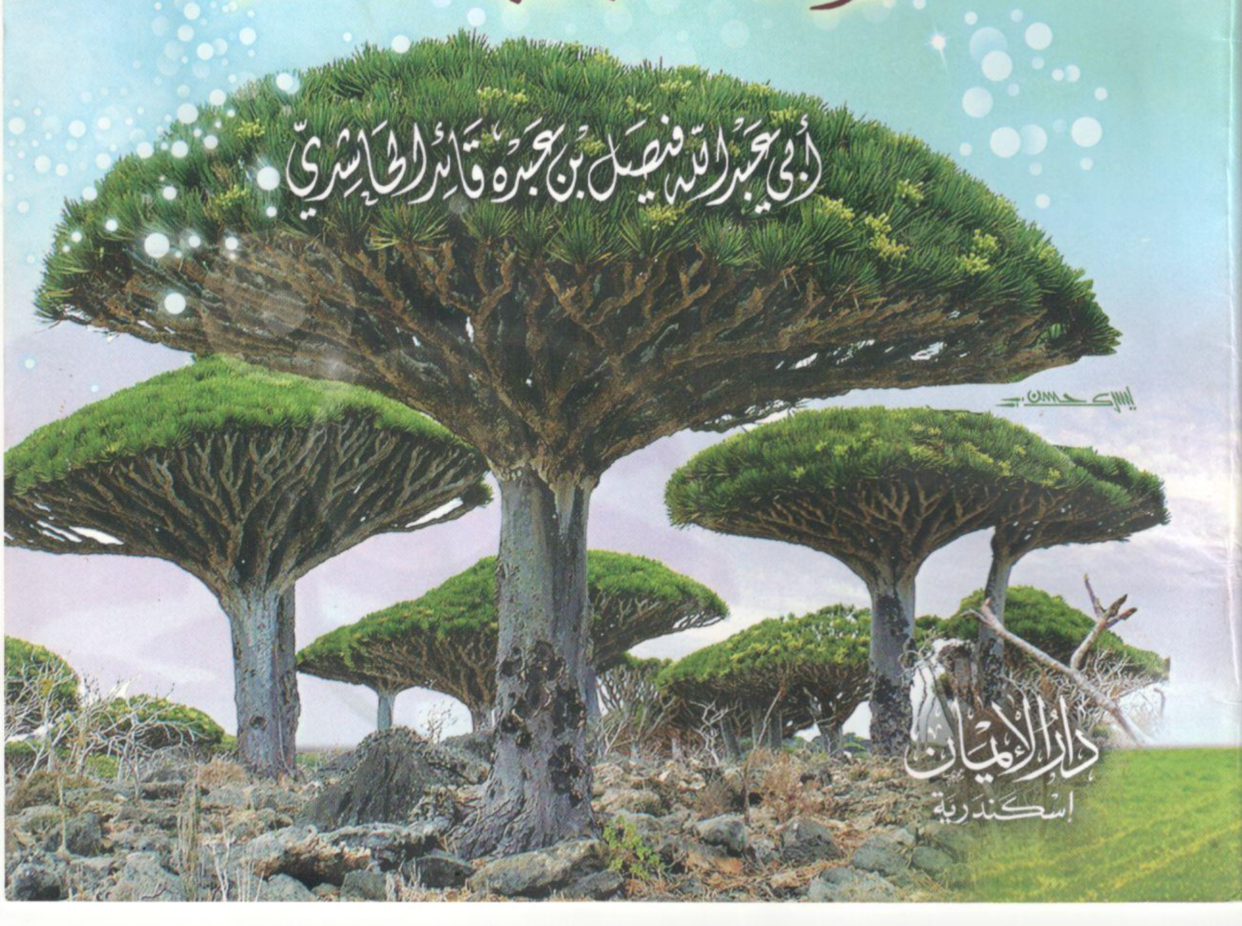


جزيرة الأحلام

مَشَاهِدُ . عَجَائِبُ . غَرَائِبُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدًا لله حقَّ حَمْدِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عَبْدِه ووَفْدِه.

أمَّا بَعْدُ، سَافرتُ إلى الجزيرة الطَّيِّبة، وفي نيَّتي أنْ أنْقُلَ عنها صُورةً بيانيَّةً؛ لتكونَ بمثابة الحادي لِمَن استطال الطَّريقَ، وقعدتْ به هَمَّتُهُ ليجدَّ في السَّيْر، فما أنْ حلَّقتْ بنا الطَّائرةُ في علْياء سمائها، إذْ بي أمامَ عَرُوسٍ حَسْنَاءَ، تُزْهَى بحُسْنِها، وتُزري بكُلِّ بَلَدة زُرْتُهَا!

ثُم هَبَطَتْ بنا الطَّائرةُ على أرْض خَضْرَاءَ مُبْتَلَّة بَعْدَ مطرٍ مُمْرِعٍ، وكأنِّي بها تهْتَزُّ، فتُنْبتُ نباتًا حسنًا، تُخْرِجُ ثمارَهَا، وتَتَلألأُ أزْهَارُها، وتنتفضُ عَنْ أوْرَاقها اللاَّمعة الخَضْرَاء.

والهَواءُ الفاتِرُ يَتَرَقْرَقُ، فينبعثُ إلى الأجْسَام، فيترك فيها أثَرًا هادئًا لذيذًا.

فما أنْ دلَفْنا إلى خارج المَطَار، حتَّى شعَرْتُ أنِّي انتقلْتُ إلى عالَم جَميلٍ، تَغَلْغَلَ الطَّائرُ المُحلِّقُ في غِمَار السُّحُبِ بَيْنَ سُكُون الطَّبيعة وهُدُوئها، وجمال الكائنات وجَلاَلِهَا!

فَمِنْ وِهَادها ونجادها، سَهْلِهَا ووَعْرها، عامرِهَا وغَامرِهَا ... ، وغَضَارة الفطْرَة في نُفُوسِ أهْلِهَا -يَسْتَمِدُّ اليَرَاعُ[1] إيحاءَاته. سَهْلَةً سائغَةً، لا مشَقَّةَ فيها ولا عَنَاءَ.

(١) اليَرَاع -بالفتح-: القَلَمُ.

فأتركُكَ معَ تلْكَ السُّطُور، وقَدْ راعيتُ فيها الإيجازَ والاختصارَ جَرْيًا معَ القائلِ: «متى كان الإيجازُ كافيًا، كان الإكْثارُ عيًّا[1]».

جَـزيرةٌ لَيْس يُضَاهَى حُسنُها　　في سَـائرِ الدُّنْيـا ولا آفَـاقِـهـا

فَـأرْضُـهـا مِثْلُ السَّـمـاءِ بَهْجَةً　　وزَهْرُهَا كـالزُّهْرِ في إشْـراقِـهـا

الْبِدايَةُ:

توجَّهْنا إلى عَدَنَ، وكـان في انتظارنا الشَّيْخُ أبو الحارث عَبْدُ الله الرينيُّ، الَّذي نزَلْنا عنْدَهُ، فأغْدَقَ علينا منْ أخْلاقه وتواضعه وكرَمه، فجزاهُ اللهُ خَيْراً.

وأخي الحبيب خالدُ بنُ عَبْد الغنيِّ اليَزيديِّ، الَّذي كان لساني أيْنما حَلَلْتُ وارْتَحلْتُ؛ لأنَّهُ أفصحُ منِّي لسانًا، فأنْعمْ به منْ أخٍ ناصحٍ خَلُوقٍ شَهْمٍ كَريمٍ!.

عدَنُ:

شاء اللهُ أنْ نمْكُثَ في عَدَنَ ثلاثةَ أيَّام، استفدْنا خلالَهَا من الشَّباب، واستفادُوا منَّا، ومـا استفدْناهُ منهم أكْثرُ، ولَقَدْ هالنا ما رأَيْنا منْ توافُد النَّاس على عِمَارة المساجد، وحُضُور حلَق الذِّكْر، فقدْ كُنَّا نَظُنُّ أنَّ رياح الفتَن قَدْ أضْعفَتْهُمْ لقُرْبِهِمْ منها، وقُرْبِهَا منْهُمْ، لكنْ ﴿ **ويَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ** .. ﴾ [التوبة: ٣٢].

ويُعْجبُني عُلُوُّ همَّتهمْ في دَعْوَة النَّاس في كُلِّ مكان نزلتُهُ، في حين أنَّ البَعْضَ منَّا كالطَّبيب الَّذي يظلُّ في عِيادَته يَنْتَظرُ الأمْراضَ، وقدْ لا يأتونَ

(١) العِيُّ -بالكسْر- خلافُ البَيَان.

إليهْ، أوْ كالداعية الَّذي يَظَلُّ في مَسجدْه ينتظرُ سائلاً يَسْأَلُ عَنْ دينه، أوْ باحثًا عَنِ الحقِّ ليدُلَّهُ عليه، وقدْ لا يأتي هذا أَوْ ذاك!

رأسُ عمْرَانَ:

ذَهبْنا إلى رَأسِ عمْرانَ دعْوَةً وسياحةً، فَلمَّا دَخلْناهَا، وَجَدْتُ زميلي هاني وَقَدْ تغيَّرَ وتبدَّل، فعرفني ولم أعْرفْهُ إلاَّ بَعْدَ جُهْد، وكان في طريقه للصَّيْد، فوجدتُها فُرْصَةً لاصْطحابه، فأخذني مَعَهُ في طريق طويل، فَلمَّا توسَّطْنا البَحْرَ، بدأ هائجًا، فَدَبَّ الخَوْفُ إلى نَفْسي، فذكرتُ قصَّةَ نُوح، وأكثرتُ منْ ذكْر الله، والقاربُ يرْتفعُ ويَهْبطُ يَمْنَةً ويَسْرَةً، في سُرْعة جُنُونيَّة، وأنا أتمايلُ كالسَّكْران، إذْ لا عهْدَ لي بالبَحْر، فبَيْنَا أنْظرُ إلى وَجْه هاني وأخيه مثْقال، هَلْ أصَابَهُمَا ما أصابني -فإذْ بهما وكأنَّهما في البَرِّ، فسكنَتْ كذلكَ نَفْسي، ورُحْتُ أسْأَلُ هاني عَنْ عجائب البَحْر، فأفادني فوائدَ جمَّةً، فجزاه اللهُ خيرًا.

وفي المساء عُدْنا إلى البرِّ، وقدْ لاقيْنَا منْ سفَرنا نَصبًا، وفي أحَد مساجد رأس عمْرانَ ألْقَى أخي سعيدُ بْنُ دعَّاس كلمةً قيِّمةً، تلاه خالدُ اليزيديُّ، ثُمَّ توجَّهْنا إلى صلاح الدِّين، حَيْثُ اجتماعُ بَعْض المشايخ وطُلاَّب العلْم.

وقد طَلَبُوا منِّي نصيحةً، فأجبْتُهم إلى ذلكَ، ولسانُ حالي: «مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ»، معَ أني لَسْتُ بفَصيح كما تقدَّمَ، وإنَّ ذلك ليُذكِّرُني بأوَّل خُطْبة خطَبْتُها في حياتي، أمَّا كَيْفَ حَصلَ ذلك، فإنَّهُ كان لنا خطيبٌ مُفَوَّهٌ(١)،

---

(١) مُفَوَّهٌ أي: قادرٌ على المَنْطق والكلام.

وكان عليه أنْ يَخْطُبَ في بَلْدَتنا كما هي العادَةُ، لكنَّ أَحَدَ الوُزَرَاء اتصلَ به لَيْلاً، وطلب منه أنْ يَخْطُبَ خُطْبَةَ العيد حَيْثُ هُوَ، فَلَمْ يَجِد الخطيب بُدًّا من الطَّاعة، فأصبحِ الناسُ ولا خطيبَ لَهُمْ.

فما كان منِّي إلاَّ أنْ صلَّيْتُ بالنَّاسِ، وخَطَبْتُ منهم خُطْبَةَ العيد، وحالي:

إذا لَمْ يَكُنْ إلاَّ الأسِنَّةُ مَركَبًا فما حيلَةُ المُضْطَرِّ إلاَّ رُكُوبُها

وكانتْ تلْكَ أَوَّلَ خُطْبة وآخرَ خُطْبَة، ولله الحَمْدُ.

ثُمَّ توجَّهْنا بَعْدَ ذلكَ إلى المُكَلاَّ.

المُكلاَّ:

توجَهْنا إلى المُكلاَّ عاصمة حَضْرَمَوْت، وكان في انتظارنا الشَّيخُ حَسَنُ العوبثانيُّ، الَّذي نزلنا عنْدَهُ، وقَدْ أكْرَمَنا غايةَ الإكرام، وهُوَ رَجُلٌ، حَسَنُ الهَيْئة، حَسَنُ السَّمْت، مَحْبُوبٌ مِنَ الجميعِ، كريمٌ مضيافٌ، فجزاه الله خيرًا، وباركَ لَهُ في أهْله وماله.

تَرَاهُ كالبَدْرِ، والأخلاقُ زينَتُهُ واللَّفْظُ يأتيك منْ دُرٍّ وعقْيانِ

لَهُ ابتسامةُ طُهْرٍ لا تُفارِقُهُ ولا تَرَى مِنْهُ إلاَّ كُلَّ إحْسَانِ

ثُمَّ تجوَّلْنا في بَعْض مساجد المُكلاَّ للدَّعوة، والتعرُّف على الشباب في المساجِد والمجالسِ، فوَجَدْنا شبابًا منْ خيَارِ الشَّبابِ أخلاقًا وتواضعًا، وأدَبًا وكَرَمًا.

عُنْوان قَلْبٍ كَثيرِ البرِّ مِزْوَاد ... نَظَلُّ نَعرِفُ مِنْكُمْ بَسْمَةً طَلْقَا

أسْلافُ صِدْقٍ لُيُوثِ الدِّين ذُوَّاد ... بَقِيَّةٌ من رِجالٍ طابَ مَنْبَتُهُمْ

وفي اليَوْمِ الثَّاني الَّذي يُصادفُ يَوْمَ الجُمُعة خَطَبَ أخي خالدٌ في مَسْجد الشَّيْخ أبي عمَّار ياسر العَدَنيِّ، وقَدْ وَصَلْنا المسجدَ بَعْدَ أنْ غَصَّ بالنَّاس، فصلَّى أخي خالدٌ ركعتي السُّنَّة عندَ الباب، أمَّا أنا فقد اِلْتمستُ مكانًا في مُؤَخِّرة لأخي خالد بَعْدَ صلاة المَغرب، ثم جَلَسْنا مَعَ أبي عمَّار، فوَجَدْناهُ رَجُلاً مُهيبًا، مَتينَ الدِّين والخُلُق، فيما نحسَبُهُ، وقدْ أكْرَمَنا غايةَ الإكرام.

جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجٌ بماء غَمَامِ ... أخٍ طاهِرُ الأخْلاَقِ حُلْوٌ كأنَّهُ

وشِدَّةَ إخلاص ورَعْيَ ذمَامِ ... يَزِيدُ على الأيَّامِ صَفْوَ مَوَدَّةً

وجاء وَقْتُ المَغْرب، وقَدْ توافَدَ الشَّبابُ من كُلِّ حَدْبٍ وصَوْب، حتَّى غَصَّ المسجدُ بالحُضُور، وهذا يدلُّك على حُبِّ أهالي المُكلاَّ للخَيْر، وتواضعهِمْ حَيْثُ إنَّ المحاضرَ طالبُ علْمٍ، فجزاهُمُ اللهُ خيْرًا.

الدَّعْوَةُ في حضرَمَوْت:

الدَّعْوَةُ في حَضْرَمَوْت -وخاصَّةً المُكلاَّ- صافيةٌ مُتَميِّزةٌ، وإنْ تعرَّضَتْ لرياحِ الفِتَنِ، فلَمْ تَزِدْهَا إلاَّ صَلابةً ونَقَاءً.

وإذا عرفْتَ أنَّ الفتَنَ مُتواليات مُنْذُ أن انكسر البابُ[1] -علِمْتَ أنَّ تلْكَ سُنَّةُ الله؛ ليتميزَ الصَّفُّ، ولَنْ تَجدَ لسُنَّة الله تَبْديلاً.

---

(١) البابُ هُوَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب -رضي الله عنه-.

قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقدْ تميَّزَ أهالي حَضرَمَوْتَ -في الجُملة- باللِّباسِ العَرَبيِّ الَّذي يُميِّزُ المُسلمينَ عَنْ غَيْرِهِمْ، وإعفاءُ اللِّحيةِ هُوَ الغالبُ عِنْدَ عامَّتِهِمْ، والحِجابُ الشَّرْعيُّ هُوَ السائدُ عِنْدَ نِسائِهِمْ، وإِقْبالُهُم على العِلْمِ لا يُقارَنُ، وتوافُدُهُمْ على سماعِ الذكرِ لا يُماثَلُ.

تُهمَةُ البُخْلِ:

ما يُشاعُ عَنْ بُخْلِ أهَالي حَضْرَمَوْتَ فالخَبَرُ يُكَذِّبُهُ الخُبْرُ، و«لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعاينة».

فالكَرَمُ على أوجُوهِهِمْ بادٍ، وأَيْديهِمْ بالمعروفِ نَدِيَّةٌ، وآثارُهُمْ في وُجُوهِ البرِّ والخَيرِ لا يُنكِرُها إلاَّ مَنْ في عَيْنِهِ رَمَدٌ، ولا إخالُ تلكَ التُهمَةَ إلاَّ بِنْتَ دِحْباشٍ!، والأمرُ كما قال أبو ذُؤَيْبٍ:

وعيَّرها الواشونَ أنّي أُحِبُّها ... وتلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عَنْكَ عارُها
فإنْ أعتَذِرْ منها فإنّي مُكَذَّبٌ ... وإنْ تعتَذِرْ يُرْدَدْ عَلَيْها اعتذارُها

مَنقَبَةٌ لأهالي حضرَموت:

ممّا يُحمَدُ لأهالي حَضْرَمَوْتَ بَذْلُ النَّصيحةِ لكُلِّ أحَدٍ، لا يكادُ والبَدَويُّ الجِلْفُ يُهاجِرُ إليهِمْ طلبًا للرِّزْقِ حتّى يَعُودَ إلى أَهْلِهِ وقَدْ رَقَّ طَبْعُهُ، وسَلَسَ

قيادُهُ، وأشْرَق وَجْهُهُ بأنوار السُّنَّة، وصار بركةً على أهْله، بَعْدُ أنْ كان شُؤْمًا عليهِمْ، وذلك كثيرٌ كما خَبَرْنا وبلَونا، ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور: ٤٠].

ولله درّ القائل:

صَحبْتُكُمْ فازْدَدْتُ نُوراً وبَهْجَةً ومَنْ يَصْحَبِ الطِّيبَ المعطرَ يَعْبَق

بَيْنَ مكَّةَ والمُكَلاَّ:

لَقَدْ كُنْتُ أتَجَوَّلُ في مدينةِ المُكَلاَّ وكأني في مكَّةٍ؛ لوُجُود وبَعْضِ التَّشابُه في جَوِّها وسكينتها، وفي بَعْضِ شَوارعها وأزقَّتها، وأبْنِيَتها وكَثْرةِ مَساجدها.

ومِمَّا لفتَ انتباهي أنَّ المساجدَ عامرةٌ بأهْلها، ففى وقت الصَّلاة تُغْلَقُ جُلُّ محلاَّتها التِّجاريَّة، ويتوجَّهُ النَّاسُ منْ كُلِّ حَدْبٍ وصَوب لأداءِ الصَّلاة حَيْثُ يُنَادى لها، وذلكَ فَضْلُ الله، يُؤْتيه منْ يَشاءُ.

وتالله، إنِّي أحْبَبْتُ تلْكَ المدينةَ، وأحْبَبْتُ أهْلَها، وأشْعُرُ بكُلِّ فَخر أنْ تكُونَ جُزْءًا منْ وَطَنِنَا الحبيب، فأسألُ اللهَ أنْ يَحْفَظَها، ويَحفَظَ أهْلَها، ويَزيدَهُمْ منْ فَضْله علْمًا وهُدًى وصَلاَحًا.

حقًا لَقَدْ تركتُ المُكَلاَّ، وتركتُ أهْلَها وأنا مُتَعَجِّبٌ مَذْهُولٌ مِمَّا رأيتُ وشاهدتُ، وغَيْرى قَدْ لا يتأثَّرُ بما أتأثر به.

فأقولُ لأهْلِها: السَّلامُ عليكم ورَحْمَةُ الله وبركاتُهُ!

سلامٌ عَلَيْكُمْ ما سَرَى العطْرُ زاكيًا ... وما رَتَّلَتْ أحلَى الغِنَاء البَلَابِلُ

وما ضاءَ وَجْهُ البَدْرِ في الأفُقِ زاكيًا ... وما تمتَمتْ بَيْنَ الحُقُولِ الجَدَاوِلُ

وما انْهَلَّ وَبْلُ الغَيْثِ مِنْ ظَهْرِ مُزْنَةٍ ... ومـا أيْنَعَتْ بالمُزْهِراتِ الخَمَائِلُ

ومـا سبَّح الرَّحْمنَ فينا مُسَبِّحٌ ... وما صَالَ في نَصرِ المُرُوءَاتِ صَائِلُ

ألاَ يـا ذَوي الإيمـانِ، إنَّ الذي لَكُمْ ... مِنَ الحبِّ والإجْلاَلِ في القُلْبِ هائلُ

هَواكُمْ في قَلْبي وعُنْوانُ بَهْجَتي ... و مـا هذه الأَبْيَـاتُ إلاَّ رسَـائِلُ

وإنَّ الَّذي في مُهْجتي مِنْ ودَادِكُمْ ... لأعْظَمُ مَـــا سَطَّرَتْهُ الأَنَامِلُ

ابْتَسِمْ أنْتَ في سُقَطْرَى:

بَعْدَ أنْ قَضَيْنا في المُكَلاَّ ثلاثة أيَّام، سَمَتْ بنا هِمَّتُنا إلى الطَّيران، فَطرنا مَعَ طَيران السَّعيدة، حَيْثُ كَرَمُ الضِّيافة، وعراقةُ الأخلاق!. وما أنْ حلَّقَتْ بنا الطائرةُ في سماء الجزيرة، حتَّى رأيْنا سِحْرًا على سِحْرٍ،

خُيِّلَ إلينا أنَّنا في دَوْلَةٍ مُترامية الأطْراف، ولَسْنا في جزيرة مِنَ الجُزُرِ، ثُمَّ هَبَطَتْ بنا الطائرةُ في مطَارٍ جميلٍ مِنْ حَيْثُ مَوْقِعُهُ،

وممَّا زادَهُ بهاءً وجمالاً أنَّ البَحْرَ أمامَهُ، بحيثُ تُحلِّقُ الطَّائرةُ إلى سماء البَحْرِ مُباشرةً!

في بوَّابةِ المَطَارِ:

ثُمَّ دَلَفْنا إلى صالة المَطَارِ، فَأَقْبَلَ علينا شابٌّ أسْمَرُ، ضَخْمُ القامة، عظيمُ

الهَامَة، ضَليعُ الفَم والهَيئَة، كَثُّ اللِّحْية، بادنٌ مُتماسكٌ، مُعْتَدلٌ مُتمالكٌ، دَقيقُ الحس، تقرأ من مُحَيَّاه أمَاره الرَّزانة والوَقَار، والأنَفة والعزة، فَلَمْ يَشُكَّ أيٌّ منَّا في صاحبه، فرحَّب بنا، فقلْتُ له: أأنْتَ سالم[1]؟ فتبسَّم!

ثُمَّ أخذَنا إلى سيَّارته، فطاف بنا الجزيرة منْ أقْصاها إلى أدْنَاهَا في أسْبُوع، وأناخ بنا في جُلِّ مَسَاجدها، ودَعَانا لمَوْعظة أهْلِهَا بَعْدَ كُلِّ فَرْض، ودعَتْهُ همَّتُهُ، ودَفَعَتْهُ نَهْمَتُهُ أنْ يُعَرِّجَ بنا على مجالس الشَّباب والشُّيُوخ في الحضر والبوادي؛ لاعتقادهمْ أنَّ عندَنا مآدبَ منَ العلْم تُغَذِّي الأرْوَاحَ، ولا غَرْوَ فمنهُمْ يأتي الكَرَمُ انسلالاً، ولَوْلاَ التطاوُلُ والتقاوُلُ، لَقُلْتُ: كاد الكَرَمُ أنْ يَقفَ في مَنَازِلهم!،

فأقولُ للجميع: السَّلامُ عَلَيْكُمْ ورحمةُ الله وبركاتُهُ!.

أخلاَّيَ، إنْ شَطَّ الحبيبُ ورَبْعُهُ ... وَعَـز تَلاَقـيـه، وناءَتْ مَنَازِلُهْ
وفـاتَكُمْ أنْ تُبْـصـرُوه بعَـيْنكُمْ ... فما فاتكُمْ بالعَيْن هذي شَمَائلُهْ

لمحاتٌ عن الجزيرة[2]:

جزيرةُ (سُقُطْرَى) دُرهٌ يَمَانيةٌ، تَتَلألأُ سحْرًا وجَمالاً، تَقَعُ في البَحْر العَرَبيِّ، جَنُوبَ شبْه الجُزيرة العَرَبيَّة[3]، قُبالَةَ ساحلِ مُحافظة المهرة، وَتبْعُدُ

(١) هو الشَيْخُ سالم دوهر -حفظه الله-.

(٢) تكادُ كلمةُ المُؤرِّخينَ الجُغرافيِّينَ أنْ تتَّفقَ على أنَّ سُقَطْرَى كانتْ مُتَّصلةً بالبرِّ، ثُمَّ انْفَصلَتْ عَنْهُ جرَّاءَ زَلازلَ وَقَعتْ هُنَاكَ في الأزْمنَة القَديمَة، فبَقيَتْ في المُحيط.

(٣) تُعَدُّ سُقَطْرَى أكْبرَ جزيرة عربيَّة فَهيَ أكْبَرُ منْ دَوْلَة البَحْرَيْن الَّتي تَبْلُغُ مساحَتُهَا (٥٩١كم٢) -بستِّ مرَّات وزيَادة.

عنها بحَوالي ٣٨٠كم، ويَبْلُغُ طُولُ الجزيرة ١٣٥كم، والعَرْضُ ٤٢ كم، وتَبْلُغُ مساحَتُها ٣٦٥٠كم٢.

وتُؤلِّفُ مَعَ بَعْض الجُزُر الأُخْرَى(١) مُديريَّةَ سُقَطْرَى، وتَتْبَعُ مُحافظة حَضْرَمَوْت.

التَّقْسِيمُ الطَّبيعيُّ:

تَنْقَسِمُ سُقَطْرَى مِنَ النَّاحية الطَّبيعيَّة إلى قسْمَيْن:

١- منْطَقَة البادية:

وتَقَعُ وَسْطَ الجُزيرة بَيْنَ أَحْضَانِ الجُبال الشَّاهقة، وتُغَطِّي مُرْتفعاتها أحْراشٌ كثيفةٌ منَ الأَشْجار المُتنوِّعة.

٢- منْطَقَة السَّاحل:

وتَنْتَشرُ في رحابها المُدُنُ الصَّغيرةُ والمراكزُ، وأَهَمُّ هذه المُدُن: حديبو- وهي العاصمةُ الإداريَّةُ لجَزيرة سُقَطْرى-، وقَلَنسية، وقاضِبُ، ونوجدُ.

عَدَدُ سُكَّانها:

أمَّا سُكَّانُها فَهُم حَوَالي ١٠٠ ألْف نَسَمة، الْغَالبُ مِنْهُم يَعْمَلُ في الزِّراعة، ورَعْي المَواشي، والاصْطيَاد على عادَة العَرَب!.

(١) تَتبَعُ جَزيرةَ سُقَطْرَى أَرْخَبيل منَ الجُزُر الصَّغيرة، الَّتي تَقَعُ في الجانب الْغَرْبيِّ منْها، وهي: جُزُر الأَفَوَيْن (سمحة) و(درسه)، وجَزيرةُ (عبده الكُوري)، الَّتي تُعَدُّ أَكْثَرَ هذه الجُزُر كثافةً بالسُّكان، وأغْناها بمَصائد اللُّؤْلُؤ مُنْذُ الْعُصُورِ القَديمة، كما أَنَّها أكبرُ جُزُر أرخبيل بَعْدَ سُقَطْرَى.

أَهْلُ الجُزِيرةِ:

ما أنْ رأيْتُ الجمالَ إلاَّ رأيْتُ في نُفُوسِهِمْ حُسْنَهُ، بلْ لُبَّهُ وجَوْهَرَهُ، وإذا نظَرْتُ للأَزْهَارِ إلاَّ وَجَدْتُ فيهمُ ابتسامتهَا، وإذا تأمَّلْتُ الْبُلْبُلُ ففيهِمْ عُذُوبةُ ألفاظه، وجميلُ لحنه، وإذا قصدْتُ الْبَحْرَ فَعنْدَهُمْ كَرَمُهُ.

ذلكَ مَوْجَزُ الأنْباء منْ أخْلاقِهِمْ، إذْ لَوْ كانت البلاغةُ في الإكْثار، لكان كتَابي سِفْرًا منَ الأسْفَارِ، ولكنَّها: إجاعةُ اللَّفْظُ، وإشْباعُ المَعْنى.

وقديمًا قِيلَ: «يكْفيكَ منَ الزَّادِ ما بلَّغكَ المحلّ».

هذه أحْـرُفُ تُجلِّي وَصيـفًا من ضِـيَـاءِ في لَمُسَـةٍ منْ وَفَـاءِ
لَوْ شَـدَوْنا بكُلِّ لحْنٍ شَـجِيٍّ في حُـرُوفٍ بَديعَـةِ الأيحَـاءِ
مـا وَفَينْا بما لَكُمْ منْ جَـمِيلٍ بات يَشْـدُو به قَـرِيبٌ ونَاء
إنَّهـا هَمْسَـةٌ منَ الحُبِّ خَـجْلَى كَدتُّ أُخْفي أبْيَاتها منْ حَيَائي

وبالجُمْلَة: ففيهِمْ محاسِنُ تَبْهرُ الألْبَابَ، وتَسْحَرُ الشُّعراءَ والكُتَّابَ، منْ عجائبَ عِلْمهِمْ، وغرائبِ نَثْرهِمْ ونَظْمهِمْ، لكنْ ذَهَبَ ذلكَ بَيْنَ رقَّةِ الهواء؛ لأنَّهُ لَيْس أَمَامَهُمْ ووراءَهُمْ وشمالَهُمْ وجَنُوبَهُمْ إلاَّ الْبَحْرُ والمُحيطُ فجوْهَرَةُ منْ هذا حالُهُ فخمةٌ، وها أنا أسُوقُ لَكَ بَعْضَ القَلائِدِ منْ نُحُورِ الخَرائد:

ففي الْعِقْـدِ الرابعِ منَ الْقَرْنِ الثَّالثِ الْهِجْريِّ اعْتَدَتِ النَّصَارَى على الجُزيرة، وقَتَلَتْ وإليها القاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، فوجَّهتْ إحْدَى نسَاءِ الجُزيرة

صَرْخَتَها[1] إلى الصَّلْت بْن مالك الخروصيِّ إمام عُمَانَ، وهُوَ أهْلٌ لذلكَ، فلا تتوجَّهُ الصَّرْخَاتُ إلاَّ للعُظَماءِ مِنَ الرِّجالِ، كما قِيلَ: «لا يُدْعَى للجُلَّى [2] إلاَّ أخُوها».

فَدُونَكَ القِلادَةَ؛ لِتَعْلَمَ أنَّ لها أخَوات أحْلَى مِنْ مُنَاجَاة الأحبَّة:

قُلْ للإمَامِ الَّذي تُرْجَى فَضَائلُهُ ... ابْنِ الكرامِ، وابْنِ السَّادَةِ النُّجُبِ
وابْنِ الجَحَاجِحَةِ[3] الشُّمِّ[4] الَّذينَ هُمُ ... كانوا سَنَاهَا، وكانوا سادَةَ العَرَبِ:
أمْسَتْ سُقَطْرى مِنَ الإسلامِ مُقْفِرَةً[5] ... بَعْدَ الشَّرائعِ والفُرْقَانِ والكُتُبِ
وبَعْدَ حَيٍّ حِلاَلٍ[6] صار مُغْتَبطًا ... في ظِلِّ دَوْلَتِهِمْ بالمالِ والحَسَبِ
لَمْ تبق فيه سنون المحلِّ ناضرةً ... مِنَ الغُصُونِ ولا عُودًا مِنَ الرَّطبِ

(١) هي فاطمةُ بنتُ أحْمَدَ بْن مُحَمد الجَهْضَمِيَّةُ، ولُقِّبَتْ بالزَّهْراء تيمُّنًا بلَقَب أُمِّ الحُسَيْن، وهي مِنْ أقَارب القَاسم بْن محمَّد الجَهْضَميِّ الَّذي كان واليًا على سُقَطْرَى مِنْ قبلِ إمامِ عُمَّانَ ذاكَ الوَقْتَ.

(٢) الجُلَّى - بالضَّمِّ والتَّشديد والقَصْر - : الخَصْلة العظيمةَ.

(٣) الجَحَاجِحَة: جَمْعُ جَحْجاح -بالفَتح-، وهُو السيِّدُ الشَّريفُ في قومه.

حَيٌّ حلاَل -بكَسْرِ الحاء الثَّانية-: جماعة كثيرةٌ مِنَ النَّاسِ يَحُلُّونَ في مَكَانٍ واحد.

قال الشَّاعر:

أقَـومٌ يَبْـعَـثُـونَ العِـيـرَ نَجْـدًا ... أحَبُّ إلَيْـكَ أمْ حَيٌّ حِـلاَلُ؟

- قاسمًا: هُوَ القَاسمُ بْنُ مُحمَّدٍ الجَهْضَميُّ السمديُّ، كان واليًا على سقطرى مِنْ قِبَلِ إمام عُمَانَ.

- عقوى مسامعهم: سقطوا في السَّاحة حَوْلَهُ.

(٤) الشُّمّ: جَمْعُ أشَمّ، وهو -السَّيِّدُ ذُو الأنَفة.

(٥) مُقْفِرة: خالية.

واستبدلتْ بالْهُدَى كُفْرًا ومَعْصِيةً وبالأذَانِ نواقيسًا منَ الخُشَبِ

وبالذَّراري رِجالاً لا خلاقَ[1] لَهُمْ مِنَ اللِّئَامِ عُلُوًّا بالقَهْرِ والْغَلَبِ

جار النَّصارَىٰ على واليكَ وانْتَهَبُوا مِنَ الحُرِيمِ، ولمْ يَأْلُوا[2] منَ السَّلَبِ

إذْ غادَرُوا قاسمًا[3] في فتْيَةٍ نُجُبِ عقوى مسامعهم[4] فيسبْسَبِ خَرِبِ[5]

مجَنْدَلينَ صراعًا لا وسَادَلَهُمْ للعاديات لسبعٍ ضارىءٍ[6] كَلِبِ[7]

أخْرَجُوا حُرَمَ الإسْلامِ قاطبةً يَهْتِفْنَ بالوَيْلِ والإعْوالِ والكُرَبِ

فَلِلإمَامِ الَّذي تُرْجَى فَضَائِلُهُ بأنْ يُغيثَ بَنَاتَ الدِّينِ والحَسَبِ

كَمْ مِنْ مُنَعَّمَةٍ بكْرٍ وثَيِّبَةٍ مِنْ آلِ بَيْتِ كَرِيمِ الدِّينِ والحَسَبِ

تدعُو أباها[8] إذَا بالعِلْجِ[9] هَمَّ بها وقَدْ تَلَقَّفَ مِنْهَا مَوْضِعَ اللَّبَبِ[10]

---

(١) الخَلاَق -بالفتح-: الحظُّ والنَّصيبُ من الخير والصَّلاح.

(٢) لم يَألُوا: لم يُقَصِّروا.

(٣) قاسم: هو القاسم بن محمد الجهضمي السمدُّي، كان واليًا على سقطرى من قبل إمام عُمانَ.

(٤) عقوى مسامعهم: سقطوا في الساحة حوله.

(٥) السَّبْسَب: والأرضُ القَفْرَةُ البعيدةُ. والخَرِب: الغَيْرُ عامرة.

(٦) السبعُ الضارئُ: ما تَطَعَّم بالصَّيْد ولَهِجَ بالفَرائس.

(٧) السبعُ الكَلِبُ: الضَّاري المُتعوِّدُ أكْلَ لحمِ الإنسان، فيأخذُهُ لذلك سُعارٌ وداءٌ شبْهُ جُنُون.

(٨) تَدْعُو أباها أيْ: تَسْتَغيثُ بأقْربِ النَّاس إليهما، وأحنِّهم عليها، وحامي حماها.

(٩) العلْج -بالكَسْر-: الرَّجُلُ الضَّخْم القويُّ منْ كفَّار العَجَم.

(١٠) موضع اللَّبَب: اللَّبَبَ: هُوَ الشَّيءُ الخالصُ، والمُرادُ هُنا: شرَفُها وحياؤُها وكرامتُها.

يَا شَرَ العِلْجُ مَا كَانَتْ تَضِنُّ بِهِ[1]   على الحُلاَلِ بوَافِرِ المَهْرِ والقَهَبِ[2]

وحَلَّ كُلَّ عَرَاءٍ[3] مِنْ مُلِمَّتِهَا[4]   عَنْ سَوْءَةٍ لَمْ تَزَلْ في حَوْزَةِ الحُجُبِ[5]

وَعَنْ فُخُوذٍ وسِيقَانٍ مُدَمْلَجَةٍ[6]   وأجعُدٍ كعناقيدٍ مِنَ الْعِنَبِ[7]

قَهْراً بغيرِ صدَاقٍ، لا ولا خُطِبَتْ   إلا بضربِ العوالي السُّمرِ والقُضُبِ[8]

أقُولُ للعَينِ والأجْفَانُ تُسْعِفُنِي   يا عَيْنُ، جُودي على الأحْبابِ وانسكبي

مَا بالُ صَلْتٌ يَنَامُ اللَّيلَ مُغْتَبِطًا   وفي سُقَطْرَى حَرِيمٌ عِرْضُهُ النَّهبِ؟!

يا للرِّجالِ، أغيثُوا كُلَّ مُسْلِمَةٍ   وتوحَبَوْتُم على الأذْقَانِ والرُّكَبِ

---

(١) تضن به: تبخل به.

(٢) القهب: الأبيضَ من أولاد المَعز والبقر.

(٣) وحَلَّ كُلَّ عَراء أي: حَلَّ بالْقُوَّة ما كان يَسْتُرُهَا.

(٤) المُلمَّة: النَّازلة الشَّديدة من نوازل الدَّهر.

(٥) عَنْ سَوْءَةٍ لم تَزَلْ في حَوْزَةِ الحُجُبِ أيْ: كشَفَ عَنْ عَوْرَةٍ ما كانتْ تكْشَفُ مِنْ قَبْلِ ذلكَ.

(٦) وعَنْ فُخُوذ وسيقان مُدَمْلَجَة أيْ: كَشَفَ عَنْ فُخُوذٍ وسيقانٍ جميلةٍ في خِلْقَتِها، مُسْتويةٍ في صُورَتِها، مُتناسقةٍ في شكْلِها.

(٧) وأجعد كعناقيد من العنب أي: كَشَفَ عَنْ وُجُوهٍ مُسْتديرةٍ ملتاقة، وشَعْرٍ ممشُوطٍ مَجْمُوعٍ في ظفائرَ كعنَاقيدِ العِنَبِ.

(٨) والقضب: السِّهام الدِّقَاق.

حَتَّى يَعُودَ عِمَادُ الدِّينِ مُنْتَصِبًا ... ويُهلكَ اللهُ أهْلَ الجُورِ والرِّيَبَ
وثَمَّ[1] يُصْبِحُ دعى الزَّهْرَاءِ صادقةً ... بَعْدَ الفُسُوقِ، وتُحْيَا سُنَّةُ الكُتُبِ
ثُمَّ الصَّلاةُ على المُخْتَارِ سَيِّدِنَا ... خَيْرِ البَرِيَّةِ مأمُونٍ ومُنْتَخَبِ[2]

ولَمَّا وَصَلَتْ تلْكَ الأبْيَاتُ إلى الصَّلْت، وعلم بما جرَى، واستَمعَ إلى تلْكَ العبارات الَّتي قَطَّعَتْ أحْشَاءَهُ -سَلَّ سَيْفَ الحَقِّ، وأغَاثَ جَزيرةَ سُقطْرَى، كما قال الشاعِرُ:

زَهْرَاءُ قطعتْ أحْشَاءَ الإمام بما ... كَتَبَتْ من أسْطُرٍ مدَّتْ بمَا الذَّهَبِ
فالصَّلْتُ سَلَّ حُسَامَ الحقِّ مُنْصَلتًا[3] ... على البُغَاة، فأرْدَاهُمْ على العَقِبِ
أغَاثَ ثَغْرًا حَمَاهُ قَبْلُ فارْتَفَعَتْ ... أعْلامُهُ في ذُرَ الجُوزَاءِ والقُطُبِ
حَتَّى أعَادَ سُقَطْرَى وهي باسمَةٌ ... تَخْتَالُ ما بَيْنَ حَدِّ السَّيْفِ، والقُضُبِ

وهذا قَطْرَةٌ من مَطْرَة، وما أُغْفِلَ أكْثَرُ ممَّا كُتِبَ وحصل، ومن يحصلُ ما تُثيرهُ الرِّيَاحُ، وتتقاذَفُ به الأمواجُ؟!

لَوْحَةٌ طَبِيعيَّةٌ:

تَبْدُو الجزيرة وكأنَّها لَوْحَةٌ طَبيعيَّةٌ بَديعةُ الجمال، تَملأُ العَيْنَ حُسْنًا، والنَّفْسَ بَهجةً!.

(١) ثَمَّ -بالفتح-: اسمٌ يُشَارُ به بمعنى: هُنَاكَ.
(٢) انظر الحُلَل السُّنْدُسيَّةَ لأحمد الأنباليِّ (ص٣٩) وما بَعْدَهُ.
(٣) السَّيف المُنْصَلت: الصَّقيل الماضي.

ما أنْ دَخَلْتُها حَتَّى خُيِّلَ إليَّ أنِّي انتقلتُ إلى عالَم آخَرَ من عَوالمِ التَّاريخ الْغَابر، وفي باديةٍ منْ بوادي الْعَرَبِ، فأشْهَدُ بعيني تِلْكَ العُصُورَ الجميلةَ.

فأرى الْعَرَبَ بَيْنَ إبلهَا وغنمهَا، وبقَرهَا وشَائهَا، ثُمَّ أنتقلُ بيْنَ الرِّياضِ الخَضْراء، والغابات الغَلْباء، فأرى الأنْهارَ والبحارَ، والأزْهارَ والأمطارَ، فلا أخْرُجَ من ذلكَ الرَّوْضِ إلاَّ بنفْسٍ تَطير سُرُوراً، وتَسِيلُ وَجْدًا!

أنَا -يا قوم- عاشِقٌ وشُهُودي ... في الْهَوَى أدْمُعٍ وقَلْبي الْقَتيلُ
لا تَلُومُوا فُؤادي الْيَوْمَ إنَّ الْـ ... بَوْحَ في حُبِّها جَميلٌ جَميلُ
لَوْ رَأيْتُمْ جَمالَها حينَ تَعْلُو ... هامَةَ الحُسْنِ والخُطَى. إذْ تَميلُ
لَكَرهْتُم نِساءَكُمْ في هَوَاهَا ... وجَدَّ السُّرَى[1] لَهَا والرَّحيلُ
تَرْقُصُ الأرْضُ إنْ مَشَتْ عَلَيْهَا ... مَعَهَا ما تَشَاءُ وهي الْبَتُولُ
أحْرَقَ الشَّوْقُ يا عروب -فُؤادي ... وتحيَّرتُ فيكِ ماذا أقُولُ؟!

تُراثٌ عالَمِيٌّ:

تَمَّ تَصْنيفُ الجزيرة كأحَدِ مواقعَ التُّراث العالَمِي في عام (٢٠٠٨م)، ولُقِّبَتْ بأكْثَرِ المناطقِ في العالَمِ غرابةً؛ نَظَرًا للتَّنوُّعِ الحَيَوِيِّ الفريد، ولأهَمِيَّةِ البيْئَةِ لهذه الجَزيرة، وانعكاسها على العالَمِ.

(١) السُّرى- بزنة الهُدَى- : السَّيْرُ لَيْلاً.

قِفُوا في سُقَطْرى جَميعًا وجُوسُوا(١) هُنَا في المُحيط جِبَالٌ جُلُوسُ
جَزيرةٌ كالتَّاجِ لون السُّدُوسْ(٢) رَوَا بي (٣) فيهَا تُسَرُّ النُّفُوسُ
هَوَاءٌ نَقِيٌّ، وغَيْمٌ عَدُوسٌ(٤) يَسُوقُهُ رِيحٌ إليْهَا نَعُوسُ(٥)
وإسلامُ دينٍ وسكَّانُ عُربٌ جميعٌ كِرامُ السجايا قُنوسُ
سُقطرى ثراها نباتٌ وتبرٌ وَطيبٌ تَعكِّرُ فيه اللُّبوسُ

أفضَلُ أوقَاتِ زِيارَةِ الجُزيرَةِ:

أفضَلُ أوْقَاتِ الزِّيارة مِنْ شَهْرِ أكتوبر إلى شهر فبراير، ويُنْصَحُ بِعَدَمِ زيَارة الجُزيرة ما بين شهرِ يونيو إلى شهر سبتمبر؛ لأنَّها تكونُ فَتْرَةَ رياحٍ مَوْسميَّة، وهي شَديدةٌ، ورُبَّما أخَذَتْ مَعَهَا عمَامَتَكَ إنْ كانتْ لَكَ عمامةٌ، وقدْ لا تُدْركُها إلاَّ في البَحْرِ، أو الجِبَال، أوْ بَيْنَ الأشْجَار، وفي هذا الوَقْت بالذَّات يَرْتَفِعُ موجُ البَحْرِ، فَيَعُوقُ بَعْضَ السُّفُنِ عَنِ الوُصُول إلى الجزيرة، ويلعبُ بصغارِ السُّفُنِ وقد لا تعود إلى مأمنها، فأنى لك السباحةُ فيها؟!

إذا هَزَّنا الشَّوقُ اضْطَرَبْنا لِهَزِّه على شعبِ الرَّحْلِ اضْطرابَ الأراقم(٦)

(١) الجَوْسُ: التَّرَدُّد خلالَ الدُّور والبيُوت.
(٢) السُّدوس: الطَّيْلَسَان الأخضَر.
(٣) الرَّوابي: جَمْعُ رابية، وهي ما ارتفع مِنَ الأرْضِ.
(٤) عَدُوس أيْ: شديدٌ.
(٥) ريح نَعُوس أي: ليِّنة.
(٦) الأراقم: جَمْعُ الأرْقَم، وهو من الحيَّات ما فيه سوادٌ وبياضٌ.

فَمِنْ صَبَوات[1] تَسْتَقِيمُ بمائلٍ وَمِنْ أرْيَحِيَّات تَهُبُّ بنائمِ
وأسْتَشْرِفُ الأعْلامَ حتَّى يَدُلَّني على طِيبِها مَرَّ الرِّياحِ النَّواسِمِ
وهَلْ أنسمُ الأرْواحِ إلاَّ لأنَّها تَهُبُّ على تِلْكَ الرُّبَى والمَعَالِمِ؟

رأيْتُ أطْفالاً كِباراً:

لَقَدْ رافَقْتُ كباراً يزِنُ بَعْضُهُم الجبالَ رزانةً، وَمِنْهُمْ مَنْ شاخَ منَ الْهُمُومِ، حتّى أصبحت الْبَسْمَةُ عنْدَهُمْ عُمْلَةً نادرةً، فإذا بهِمْ هُناكَ وكأنَّهُمْ صغارٌ، وفي رَوْضٍ منْ رياضِ الأَطْفالِ يَلْعَبُونَ، ويَضْحكونَ، يرْكُظُونَ، يتسابَقُونَ، يتسلَّقون الجبالَ في مَرَحٍ عجيب!.

ولا شكَّ أنَّ النَّفسَ إذا لَم تأخُذْ حظَّها منَ الرَّاحة سئِمَتْ تكاليفَ الحياة، كما قال أبو العتاهية:

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إذْ كانتْ مُدَبِّرةً إلاَّ التَّنَقُّلُ مِنْ حالٍ إلى حالِ!

الأشْجارُ والنَّباتُ:

قَدْ يأْخُذُكَ الذُّهُولُ، ويَعْتَريكَ الدَّهَشُ، وأنْتَ تَتأمَّلُ أشْجارَ سُقْطَرَى، فما تكادُ تُودِّعُ شَجَرَةً إلاَّ وَجَدْتَ أُخْرَى غيْرَها تَسْتَدْعي إرْسالَ نواظِرِ الفكرِ في بَديعِ تكْوينها، وإشْراقِ مَنْظَرِهَا.

فلا تتركُها إلاَّ وقَدْ علقَتْ في نَفْسكَ صُورتُها إلى أُخْرَى غيْرِها، حتَّى تَخْرُجَ مِنْ ذلك الرَّوْضِ بنَفْسٍ تطيرُ سُرُوراً، وتَسيلُ وَجْداً عَلَيه!

(١) صبوات: جَمْعُ صَبْوةٍ، وهي الشَّوقُ والحنينُ.

ولله درُّ القائلِ:

تأمَّلْ في نبـاتِ الأرْضِ وانْظُرْ إلى آثارِ مـا صَنَعَ المَليكُ
عُيونٌ من لُجَيْنٍ شاخِصاتٌ بأحْداقٍ هي الذَّهَبُ السَّبيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهداتٌ بأنَّ اللهَ لَيسَ لَهُ شَريكُ

والأشْجارُ في الجُزيرةِ الحديثُ عَنْها ذُو شُجُونٍ، ويكفى أنَّ الجزيرةَ تُعدُّ مِنْ أهَمَّ الجُزُرِ في العالَمِ مِنْ حَيْثُ التَّنوُّعُ النَّباتي، كما أنَّها واحدةٌ مِنْ عَشرِ جُزُرٍ في العالَمِ مِنْ حَيْثُ الأنواعُ النباتيَّةُ الْفَريدةُ والنَّادرةُ، فيوجدُ فيها(٩٠٠) نوعٍ مِنَ النَّباتاتِ النَّادرةِ، ومِنْ بَيْنِهَا (٣٠) نَوْعٍ تَنْفَرِدُ به الجزيرةُ دُونَ غَيْرِها مِنْ بقَاعِ الأرْضِ.

ومِنْ تلْكَ النَباتاتِ النَّادرةِ شَجَرةُ دَمِ الأخوَيْنِ، وشَجَرةُ اللُّبانِ، والصَّبرِ السُّقَطْرِيِّ، وبَعْضُ النَّباتاتِ الطِّبِّيَّةِ.

فلا تَقفْ بكَ هِمَّتُكَ عِنْدَ التَّمتُّعِ بمناظرِها، وتأمُّلْ تكوينها. بل وتأمَّلْ إلى خَلْقِ الخالقِ الْبَديعِ المُصوِّرِ، وبذلكَ تَحْصُلُ على الرَّاحةِ الَّتي تَنْشُدُها.

ورَحِمَ اللهُ القائلُ:

تَأمَّلْ في سُطُورِ الْكَائِنَاتِ؛ فإنَّها مِنَ المَليكِ الأعْلَى إليْكَ رَسَائِلُ
وقَدْ خطَّ فيها -لَوْ تأمَّلْتَ خطَّها:- ألاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللهَ- باطِلُ

الطُّيورُ:

عَجيبٌ أمْرُ تلكَ الجزيرة أيْنما حَلَلْتَ وارتَحلْتَ إلاَّ وَجدْتَ الطُّيورَ تصْدحُ بأصْواتها الجميلة، الَّتي تُثيرُ في النَّفْس البَهْجة والانشراحَ، ويُعْجبُكَ ألوانُها، وأشْكالُها، وتنوعُ أصْواتها، وكأنَّك في عالَم غَريب! . وتَحْتَضنُ الجزيرةُ أكْثرَ منْ ١٧٩ نوْعًا منَ الطُّيور، منها تسْعةُ أنواعٍ منَ الطُّيورِ المُتوطِّنة في الجْزيرة، ولا توْجدُ في أيِّ مكانٍ آخرَ منَ العالَم! .

فما أشبَّهُ تلكَ الجزيرةَ إلاَّ بقوْل القائل:

والطَّلُّ في سِلْك الغُصُون كَلُؤْلُؤ رَطْبٍ يُصَافحهُ النَّسيمُ فَيَسْقُطُ
والطَّيرُ يَقْرأ، والْغَديرُ صَحيفةٌ والرِّيحُ تَكْتُبُ، والْغَمامُ يُنَقِّطُ

حَيَوانٌ غَريبٌ:

قَدْ يَسْتَدْعي انْتباهكَ - وأنْتَ تتجولُ بيْنَ النَّخيل - حيَوانٌ غريبٌ، تَنْفردُ به جَزيرةُ سُقَطْرَى، وهوَ الحيوانُ المعروفُ باسْم (قطِّ الزَّباد المُتَوحِّش)، وهُوَ يُشْبهُ في شكْله القطَّ العاديَّ، لكنَّهُ أكْبرُ منْهُ حَجْمًا، وقَدْ حَاولَ أخُونا صلاحٌ إمْسَاكَهُ، ولعلَّهُ يَحْسبُ أنَّهُ قط عاديٌّ، وفي نَفْس الوقْت يَحْسَبُ أنَّ قطَطَ الجزيرة مُتميِّزونَ بهذا الشَّكْل! ، لكنَّهُ ثار عليه وكأنَّهُ نمرٌ، فأطْلَقَهُ، فلمَّا أخْبَرْتُهُ أنَّ في داخله كَنْزًا تحسَّر عليه! ،

وهذا الكَنْزُ هُوَ (عطْرُ الزَّباد).

ويَقُومُ أهَالي الجزيرة باصْطياده مُسْتَخْدمينَ شرُكَ صَيْد خاصَّة، ثُمَّ يَقُومُونَ

بَعْدَ ذلكَ باستخراج مَادَّة (الزَّباد) منه، عَنْ طَريق الضَّغْط الشَّديد على غُدَّته، أوْ باستعْمال مشْرَطَ لجَرْحِ الْغُدَّة، حتَّى يتدفَّقَ منْهَا الزَّبَادُ.

والزَّبَادُ عبَارَةٌ عَنْ مادَّة سَوْدَاء اللَّوْن، زفيرةُ الرَّائحة، ويُخَالطُ رائحتَهُ طيبٌ كرائحة المسك، ويُصْنَعُ مِنْ هذه المادَّة نَوْعٌ مِنَ العُطُور العَرَبيَّة، يُسَمَّى (عطْرَ الزبَّاد).

وبَعْدَ استخراج الزبَّاد من القطِّ، يُطْلَقُ سَرَاحُهُ، فَيَهْرُبُ إلى مَزَارِع النَّخيل، حَيْثُ يَقُومُ الأهالي باصْطِيَاده مرَّةً أُخْرَى لاستخراجِ الزبَّاد منْهُ ثَانِيَةً!.

الشَّلاَّلاتُ:

يُوجَدُ في الجزيرة عَدَدٌ مِنْ شَلاَّلات المياه الغزيرة الَّتي تنهال سَاقطةً منْ أعالي الجبال، وتَنْتَشرُ في مواقعَ مُخْتَلفة، أهَمُّهَا شَلاَّلاتُ (ذبحهَن) في حديبو، حيْثُ يَبْعُدُ عَنِ المركز بمسافة ٦ كم فَقَطْ.

وكذلكَ شلاَّلاتُ (حالة)، و(مومي)، و(قعرة)، و(عيهفن)، ومُعْظَمُ تلْكَ الشَّلاَّلات تَنْبُعُ مِنْ أعالي الجبال، وعلى مَدَار العام.

غَرَائِبُ:

ما أكْثَرَ الغَرائبَ والعجائبَ في تلْكَ الجزيرة السَّاحرَة، ولا سيَّما في عادَةَ النَّاسِ وتقَاليدهمْ!، وأنَّى لي أنْ أسْرُدَ لكَ كُلَّ ذلكَ، وهُوَ يَحْتَاجُ إلى أسْفَار؟!، لكنْ سأكتفي بالحديث عَنْ حَفْلَتَي الزَّواج والخَتَان، باعتبارهمَا منْ أكْبَر المُناسَبات في الجزيرة.

الزَّواجُ:

يَبْدأُ الزَّواجُ عِنْدَ السُّقَطْرِيِّينَ بالتَّشاوُرِ بَيْنَ أفْرادِ الأُسْرَةِ في تَحْديدِ الزَّوْجَةِ الَّتي سَتُصبحُ زَوْجَةَ ابْنِهِم، وَمِنَ الصِّفَاتِ المَطْلُوبةِ في الفتاةِ المَخْطُوبةِ: الحَسَبُ، والنَّسَبُ، والدِّينُ، والجمالُ.

وبَعْدَ أنْ يتَّفقَ الجميعُ على تَحْديدِ المخطوبةِ، يَذْهَبُ أحَدُ كبارِ العائلةِ إلى بَيْتِ وليِّ أمْرِها، فإذا تمت الموافقةُ، يَتَّفقُ الجميعُ على وَقْتٍ مُحَدَّدٍ، وفي المَوْعدِ يَذْهَبُ اثْنانِ منَ الرِّجالِ كَشُهُودٍ، والعَريسُ يَنْتَظِرُ في مكانٍ مُعَيَّنٍ، ويستمعُ الشُّهُودُ إلى الأبِ، أوْ وَليِّ أمْرِ الفَتَاةِ، إنْ كان لها وليٌّ، وإلاَّ وكَّلَت القاضي.

وفي الصَّباحِ الباكرِ تَقُومُ القبائلُ بتَجْميعِ الأغنامِ، والأبْقارِ، والتَّمْرِ، والسَّمْنِ، وغيْرِهِ منَ المَأْكُولاتِ المحلِّيَّةِ، ممَّا تعارفَ عليه المجتمعُ السُّقَطْرِيُّ في مِثْلِ تلْكَ المُناسباتِ، وهُوَ ما يُسَمَّى: (بالرِّفدة)، وذلكَ أنَّ صاحبَ العُرْسِ يُبَلِّغُ قبيلتَهُ، وكُلَّ مَنْ بيْنَهُ وبَيْنَهُمْ نَسَبٌ، أوْ مُصاهرةٌ، أوْ صَداقةٌ بالعُرْسِ قَبْلَ يَوْمَيْنِ أوْ ثلاثة، فيَأتي كُلُّ واحدٍ برفدته، فإذا كان قَدْ رفد قَبْلَ ذلكَ، يَرُدُّ عليه النَّاسُ رفدتَهُ، وهذه عادةٌ مُنْتَشِرَةٌ بَيْنَ أهالي الجزيرة.

يُصْبِحُ النَّاسُ في ذَلكَ اليَوْمِ يَذْبَحُونَ الأغْنَامَ والأبقارَ والإبلَ في وادٍ منَ الأوْدِيَةِ، أوْ مكانٍ قَريبٍ منَ الماءِ والحَطَبِ، وتأتي القبائلُ منْ كُلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ بر فدائها، فيذبحون ويَطبخون طوالَ النَّهارِ، وفي اللَّيلِ يَبْدأُ جميعُ مَنْ يسمَعُ بالوليمةِ يأتي إليها، سواء دُعِيَ أوْ لَم يُدْعَ، فهذه عادةُ أهلِ الجزيرة.

ثُمَّ يَقُومُ أصحابُ العُرْسِ بالبَحْثِ عَنِ النَّاسِ، والتَّعارُفِ علَيْهِمْ، ثُمَّ تقُومُ فرْقةٌ منْهُمْ بتَوْزِيعِ الطَّعامِ على الحاضرينَ، كُلّ جماعةٍ لوَحْدِهمْ، حتَّى لا يَبْقَى أحَدٌ إلاَّ وتناولَ الْعَشاءَ، ولا تزالُ فرْقةٌ أُخْرَى يتحرَّى خلالَ اللَّيلِ مَنْ أتى متأخرًا منَ النَّاسِ فلا يُتْركُ أحَدٌ بلا عَشاءٍ، ثُمَّ يكُونُ السَّهَرُ مَعَ مُخْتلفِ الفُنُونِ الشَّعْبيَّةِ إلى الصَّباحِ!

أمَّا العَرُوسُ فإذا كانتْ بكْرًا، فَهيَ لا تَدْري بشَيْءٍ، حتَّى! إذا كانت اللَّيلةُ الَّتي يُصْبحُ فيها النَّاسُ على ذَبْحِ الأنْعامِ، تُؤْخذُ على غرَةٍ عندَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أوْ بعْدَهُ بقليلٍ، فترفَعُها إحْدَى قريباتها أوْ أحَدُ أقْربائها، ويضعُها داخلَ البَيْتِ على شَيْءٍ يُشْبهُ الشبرِيةَ، مَصْنُوعٍ منَ الحَجَرِ والطِّينِ يسمى (عاشة)- بالشِّين المتفشيَّة- وهُوَ يَقُولُ: اللهُ يَسْتُرُكِ تَزوَّجْتِ فُلانًا بنَ فُلانٍ!

ثُمَّ تُنْقَلُ في الصَّباحِ الباكرِ إلى مكَانٍ سرِّيٍّ، وأمَّا الْعَريسُ فيبقى مَعَ النَّاسِ حتَّى ليلةِ العُرْسِ الَّتي تَعقُبُ ذبحَ الأنْعامِ، فيذهبُ يتزيَّنُ، ويَلْبَسُ الجديدَ منَ الثِّيابِ.

وتَبْدأُ مظَاهرُ الاحتفالِ منْ بَعْدِ صلاةِ الْعَصْرِ منْ نَفْسِ يَوْمِ ذَبْحِ الأنْعامِ، وتَسْتَمرُّ إلى الصَّباحِ الباكرِ.

ثُمَّ يَذْهَبُ النَّاسُ بالعَريسَ إلى باب غُرْفَةِ الْعَرُوسِ، ثُمَّ يقفُونَ على الْبَابِ، ويَدْخُلُ العَريسُ، ويَمْسَحُ على رأسِ العرُوسِ، ثُمَّ يَخْرُجُ، وإذا كان العريسُ غَريبًا، ولَيْسَ مِنَ الأهْلِ والجيرانِ، فقدْ يُواجهُ مُشكلةً عويصةً

عِنْدَ المسح، وذلكَ أنَّ مجموعةً منْ شُبَّانِ الحيِّ تذهبُ وتَقفُ أمامَ غُرْفةِ العروسِ، وتَمْنَعُ العَريسَ مِنَ الدُّخُولِ والمسَحْ على العروسِ.

وقَدْ تَحْدُثُ -أحيانًا- معاركُ بالعصيِّ والأيْدي، فيتدخل كِبارُ الشَّخْصيَّات، ويمكِّنون العريسَ منَ المَسْحِ، وأحيانًا يَذْهَبُ العريسُ يَبْحَثُ عَنْ نافذة بجانب الغُرْفَة، بحيْثُ يستطيعُ الدُّخُولَ منها على عَرُوسه، ويَمْسَحُ عليها، فالمَسْحُ عِنْدَهُمْ حَتْمٌ لا مفَرَّ منْهُ في عُرْفِ أهْلِ الجزيرة!

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الباب، حَيْثُ يَقِفُ أمامَ أُولئكَ الحُرَّاسِ المُشاغبين! فإذا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفرَّقَ الحاضرونَ، وعاد كُلٌّ إلى مَأمَنه، ويَبقى أهْلُ البَيْت.

وتُزَيَّنُ العروسُ في النَّهار، ثُمَّ في اللَّيْلِ يَدْخُلُ عليها زَوْجُها، وتُسَمَّى لَيْلَةَ الدُّخُول.

وبَعْدَ أسْبُوعٍ تَبْدأُ عَمَلِيَةٌ أُخْرَى، تُسَمَّى (أزفف) -أي: الزِّفافَ-، وذلك أنَّ العروسَ تُزَفُّ إلى بَيْت زَوْجِها، وقَدْ يُصَاحِبُ ذلك بَعْضُ مَظَاهِرِ الاحتفال، إلاَّ أنَّها أقَلُّ مِنْ حَفْلَةِ العُرْسِ!.

الخِتَانُ:

ومِنْ عَجائبِ الخِتان عندَ أهْلِ الجزيرة أنَّ الوَلَدَ الذَّكَرَ يُتْرَكُ مُنْذُ ولادته إلى أنْ يَبْلُغَ ما بَيْنَ الثالثَةَ عَشَرَ والخامسَةَ عَشَرَ منْ عُمره، ثُمَّ يُقَامُ لَهُ حَفْلُ الخِتَانِ، ويُسَمَّى (ضَيافةً) -بفَتْحِ الضَّاد-، ومَقْصُودُهُمْ بذلكَ مكانٌ يُدْعَى إليه الضُّيُوفُ، وعادة ما يُجْمَعُ أكْثَرُ مِنْ واحدٍ منَ الشَّبابِ المختونينَ منْ أبْناءِ القبيلةِ الواحدة في حَفْلٍ واحد!

ويَبْدأ حَفْلُ الختان منَ الصَّباحِ الباكرِ الَّذي يَسْبقُ صَباحَ الختان، حيْثُ يأْتي أصْحَابُ الرفدات برفداتهمْ، زدْ على ذلكَ ما تأتي به أقاربُ المختون، وتَتمُّ عمليَّةُ الذَّبح مثْلَ حَفْلَ الزَّواج، وفي اللَّيْل يتبادلُ الشُّعراءُ أشْعَارَهُمْ، ويُمارس أهْلُ كُلَّ فنٍّ فَنَّهمْ حتَّى الصَّباح، وقَبْلَ بداية الحَفْل يُسْألُ الشَّابُّ المختونُ: هَلْ يَسْتطيعُ أنْ يَثْبُتَ أثْنَاءَ الختَان؟

حَيْثُ أنَّ المقصدَ منَ الختَان بعمق -من الوسط-: هُوَ إظْهارُ شَجَاعَته) وإبْرازُ رُجُولَته؛ لهذا فَهُوَ لَنْ يَنْتَفِضَ، ولَنْ يهتزَّ، ولا تَظْهرُ عليه علامةُ الرُّعْب والخَوْف خلالَ عمليَّة الختَان الَّتي تُجْرَى أمامَ العَشَرات منَ النَّاس في مَيْدان الختَان، فإذا وافقَ على الختَان أُقيمَ الحُفْلَ، وإلاَّ تُرِكَ سنةً أوْ أكْثَرَ، حتَّى يكونَ مُسْتعدًا نَفْسيًا وبَدَنيًا، فإذا خطَّ الْفَجْر ولَبسَ المختونُ ثيابَهُ الزاهيةَ، وتوجَّهَ إلى الميدان، حَيْثُ المسكد[1] والمَزْيَدْهر[2] بانتظاره، والنَّاسُ حَوْلَهُ، ثُمَّ يَقُومُ مَزْيَدْهرُ بنَزْعِ إزار المختون وعمَامَته، فيبقى عُرْيانًا كيوم ولَدَتْهُ أُمُّهُ، ومَنْ ثَمَّ يقْتَربُ بخُطَى مُتَقاربة نَحْو مسكد، وبجَنْبه مَزْيَدهرٌ، وبَعْدَ أداء حركات مُعَيَّنة يَقُومُ بها المختونُ، يأتى أثْناءَها إلى مسكد

(١) المسكد: هو عبارةٌ عَنْ حَجَر مُربَّع، يُوضَعُ في صَدْر الميدان والميدانُ: عبارةٌ عَنْ مساحة منَ الأرْض مُسْتوية، يَصلُ طُولُها إلى خمسينَ ذراعًا في خَمسين، ويَبْلُغُ طولُ المسكد ذراعًا وربُعًا، وارتفاعُهُ ذراعًا تقريبًا، وهذا الميدانُ يَشْهَدُ طَوَالَ اللَّيْل الألعابَ الشَّعْبيَّةَ، واستعراضَ عَضَلات القُوَّة: منْ قَفْز في السَّماء، وركْض بَيْنَ الصفُوف، تَدُلُّ على العُنْفُوان والقُوَّة، وإبْراز كوامنَ الشَّجاعة. «تاريخ جزيرة سقطرى (ص١٧٢)».

(٢) المَزْيَدْهرَ: هُوَ الرَّجُلُ الَّذي يَقُومُ بعمليَّة الختَان أمامَ النَّاس.

ليجلسَ عليها، وقَبْلَ أنْ يضعَ جسمَهُ فوقَها، يكُونُ مَزْيَدْهرٌ قدْ أنْهى عمليَّة الخِتَان(١)، وما أن يَجْلسَ على ذلكَ الحَجَر، حتَّى يأْتيه اثْنَان منَ الشَّباب، يأْخُذُ كُلُّ واحد منْهُما بزَنده، ثُمَّ يَجُرَّانه، وهو يمْتَنعُ ويأْبَى، فإذا لَمْ يَسْتطيعا تحريكَهُ، تَزْدادُ سُمْعَتُهُ البُطُوليَّة، ويتحدَّثُ النَّاسُ عَنْ شجاعته، وحينَها تَرْغَبُ البَنَاتُ في زَوَاجه، ويُصْبِحُ مَشْهُوراً في المُجْتَمَعِ!(٢).

يَوْميَّاتٌ:

لَقَدْ لَبِثْنا هُنَاكَ أُسبُوعًا كاملاً، ففي كُلِّ يَوْم نُصْبحُ فيه على مجامعِ أُنْس وعُذُوبة مَوْرد، ومَجالس سُرُور وابتسامات تتلألأُ، وجنَّة زاهرة، وعَيْش هَنيء، ومَشْهَد حَسَنًا، ومَنْظَر بَديع في أيَّام جميلة، مَلأَتْ حياتي سُرُوراً وغِبْطةً، وكأنَّ أيَّامَ صبايَ قَدْ عادتْ بوَجْهها الطَّلْق النَّضير!.

إنِّي تذاكرتُ أيَّامَ الصِّبَا، ولَنَا فـيـهَـا روائع منْ حُيٍّ وتَكْريم
أظَلُّ أقْطِفُ وَرْدَ الخدِّ في طَرَب لرَوْعَة الجَوِّ، والأمْطَار والغَيْم

---

(١) لابُدَّ أنْ يكُونَ مَزْيدهرٌ -في عُرْف أهْل الجزيرة- ماهراً في عمليَّة الخِتَان، حاذقًا حاذراً حازمًا، يتمتَّعُ بشدَّة الانتباه، ورَبَاطة الجَأْش، وسُرْعَة البَديهة، واستيعاب المَوْقف؛ لأنَّهُ يتحركُ تَحْتَ المجْهَر، وإليه تُصَوَّبُ الأنظارُ بَعْدَ المختون، وإيَّاهُ تتناولُ ألْسنَةُ الشُعراء، وهُوَ الَّذي يَتعرَّضُ للنَّقْد، فينال المَدْحَ والثَّناءَ إنْ أحْسَنَ والذَّمَّ والجفاءَ إنْ قَصرَ! فعملُهُ لَيْسَ بالأمْر الهَيِّن؛ حَيْثُ يَقُومُ بقَطْع الحَشَفَة في لَمْحِ البَصَر، بَيْنَما المختونُ يَقُومُ بحركة خاصَّة، منْ غَيْر أنْ يُصيبَ رأسَ الإحْليل بسُوء، وفي طَرْفَة عَيْنٍ يَقْطَعُ الحَشَفَةَ، بحَيْثُ لا يَستطيعُ النَّاظرُ أنْ يَرَى كَيْفَ قَطَعَها، ولا آلَتَهُ الَّتي يَستخدمُها في الخِتَان. انظر «تاريخ جزيرة سُقَطْرى» للأنبالي (ص١٧١-١٧٢).

(٢) انظر «تاريخ جزيرة سقطرى» (ص١٧٣).

إنّي رَهِينٌ لِحُبٍّ رائعٍ نَضِرٍ أسْدَيْتُهُ كُلَّ إجْلالٍ وتَعْظِيم

الأحد ١٣/١/١٤٣٢هـ:

يَوْمُ الأَحَدِ هُوَ لحظَةُ وصُولنا إلى تلكَ الجزيرة الطَّيِّبة، فَقَدْ وَصَلْنا مَعَ إشْراقة الفَجْرِ، والشَّمْسُ تُرْسِلُ أشعَّتَها الفضيِّيَّةَ بَعْدَ غَيْثٍ مُمْرِعٍ أصابَ الجزيرةَ، فَقُلْ فيها ما شِئْتَ، فالأرْضُ حولكَ تَخْتالُ بجمالها، وتُزْهَى بأثوابها وأبْرادها، والبَحرُ أمامَكَ يَعُجُّ بأمواجه إلى الجَدْوَلِ المُتَسلْسِلِ، والشَّلاَّلُ مُتدفِّقٌ، والأشْجارُ مُترنِّحةٌ، والطُّيورُ صادحَةٌ شاديةٌ مُترنِّمةٌ، مُرَفْرِفةٌ بأجْنحَتها الجميلة، ذات الألْوَانِ اللاَّمعة المُتلأْلِئَة.

فماذا تَجدُ بَعْدَ ذلك؟، إنَّكَ لَتَجدُ مِنَ الأُنسِ والغبْطة ما يَملأُ قَلْبَكَ بَهْجةً وحُبُوراً!.

وفي ذلك اليَوْمِ بالذَّاتِ كانَ تعارُفُنا على الشَّبابِ السَّلَفي الطَّيِّبِ المُبارَك، وكأنَّهم أُسْرَةٌ صالحةٌ كريمةٌ، وَجَدْنا فيهمُ القُلُوبَ الطَّيِّبةَ الرحيمةَ، التَّي أَلِفْناها وأحْبَبْناها، وامْتَزَجَ شُعُورُنا بشُعُورهِم، فكانتْ أيَّامُنا مَعَهُمْ غُرَّةَ أيَّامِ حياتنا.

فَقَدْ حَباهُمُ اللهُ مِنْ جمالِ الأَخْلاقِ، وسُمُوِّ الرُّوحِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ، كما مَنَحَ جَزِيرتَهُمْ مِنْ جمالِ الصُّورِ، وبَدِيعِ المَنْظَرِ، وعُذُوبَةِ الموارِد!

عَجِيبٌ أَمْرُهُمْ:

مِنْ أَعْجَبِ ما رأيتُ أَنَّنا نُعْطيهِمُ العِلْمَ قَطْرَةً قَطْرَةً، وهُمْ يَوَدُّونَ أَنْ نُسْقِيَهُمُ القُلَلَ[1]، ويُكْرِمونَنا بالأنعام، ونَحْنُ تَكْفِينا الطُّيُورُ!

تعارُفٌ بلا حُدُودٍ:

تعارُفْنا على جُلِّ أَهالي الجزيرة في مساجدهمُ العامرة بأَهْلِها، فَمِنْ طفلٍ لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمَ إلى شَيْخٍ طاعِنٍ إلى هَرِمٍ يتوكَّأُ على عَصاهُ، فَما يَقُومُ أَحَدُنا للمَوْعظَةِ -وذلك بَعْدَ الغَرَضِ مُباشرةً- إذا بِهِمْ يكْرِمُونَهُ بحُسنِ استماعِهِمْ، والإقْبَالِ عليه بطَرْفِ العَيْنِ، وحُضُورِ القَلْبِ، وإشراقةِ الوَجْهِ، وهذا يَدُلُّ على كَرَمِ نُفُوسِهِمْ، وحُسْنِ أَخْلاَقِهِمْ[2] فلا يَخْرُجُ مِنْهُمْ إلاَّ مَنْ كانتْ لَهُ حاجةٌ، وجُلُّهُمْ جُلُوسٌ كأنَّ على رُؤوسِهِمُ الطَّيْرَ، فلا مَلَلَ ولا فُتُورَ، فإذا ما انْتَهَى مُحَدِّثُهُمْ، سارَعُوا للتَّرحيبِ بهِ، والسَّلامِ عَلَيْهِ، ويا سَعَادَةَ مَنْ رَضِيَ

---

(١) القُلَل: جَمْعُ قُلَّة -بالضَّمِّ-، وهي الجرَّةُ العظيمةُ، وتُجْمَعُ -أيضا- على قلال.

(٢) جاء في «عيون الأخبار» (١/ ٣٠٧) عَنِ ابْنِ عبَّاس: -رضي الله عنهما- أَنَّهُ قَالَ: لجليسِ عليَّ ثلاثٌ: أَنْ أَرْميهُ بطَرْفي إذا أَقْبَلَ، وأَنْ أُوسِّعَ لَهُ في المجالسِ إذا جَلَسَ، وأَنْ أُصْغِيَ إليه إذا تحدَّثَ».

وفيه (١/ ٣٠٦) -أيضًا- عَنْ عُمَرَ بْنِ العاص -رضي الله عنه- أَنَّهُ قال:

«ثلاثةٌ لا أَمَلُّهُمْ: جليسٌ ما فَهِمَ عنِّي، وثَوْبِي ما سَتَرَني، ودابَّتي ما حَمَلَتْ رِجْلي».

وجاء في «المنتقي» (ص١٥٥) عَنِ الحَسَنِ -رحمه الله- أَنَّهُ قال: «إذا جالَسْتَ فَكُنْ على أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ على أَنْ تَقُولَ، وتعلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ، كما تتعلَّمُ حُسْنَ القَوْلِ، ولا تَقْطَعْ على أَحَدٍ حَدِيثَهُ».

المُحدِّثُ بضيافته ذلكَ اليَوْمَ! ، وهكذا بَعْدَ كُلِّ فَرْضٍ لنا مَوْعظَةٌ مُتنقِّلةٌ، ولقاءات مُتواصلةٌ مَعَ أهْلهَا، ودَعْكَ منَ المحاضرات بَعْدَ المَغْرب، فَهُمْ على مَوْعد مَعَ العَشاء، وتلْكَ عاداتُهُمْ، فلا تَشْغَلهُمْ!

بَلْ ألْقِ عليهِمْ كلمةً ما أقبَلُوا عليك، فإذا رأَيْتَ منْ بَعْضهمْ تحفُّزًا، أوْ تَمطِّيًا، أَوْ تثَاؤُبًا، أو الْتفاتًا -فاعْلَمْ أنَّ المَللَ قد دَبَّ، والفُتُورَ قَدْ شَبَّ، فَأمْسكْ[1]، ولَمْ نَرَ ذلك منْهُمْ!

أَنْتُمْ سُرُوري، وأَنْتُمْ مُشْتكَى حُزْني ... وأنتم في سَوادا اللَّيْلِ سُمَّاري

أَنْتُم -وإنْ بَعُدتْ عنَّا مَنَازلكُمْ ... نَوازلٌ بَيْنَ أَسْراري وتَذْكَاري

فإنْ تكلَّمْتُ لَمْ أَلْفظْ بغَيْرِكُمُ ... وإنْ سكَتُّ فأنتم عقْدُ إضْماري

اللهُ جارُكُم ممَّا أُحَاذرُهُ فيكم ... وحُبِّي لكُمْ منْ هَجْركُمْ جَاري

(١) ذكر البَغَويُّ -رحمه الله- «شرح السُّنَّة» (١/ ٣١٤) عَن ابْن مَسْعُود -رضي الله عنه- أنَّه قال: «حَدِّث القَوْمَ ما حَدَّجُوكَ بأبْصارهمْ (أيْ: وَجَّهُوا نَحْوَكَ)، وأقْبلَتْ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ، فإذا انْصرَفَتْ عنْدَه قُلُوبهُمْ؛ فلا تُحدِّثْهُمْ».

قيلَ: وما علامةُ ذلكَ؟

قَال: «إذا الْتَفتَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض، ورَأَيْتهُمْ يَتَثاءَبُون، واتَّكأَ بَعْضُهُمْ على بَعْض -فقَد انْصرَفَتْ قُلُوبُهُمْ؛ فلا تُحدِّثْهُمْ».

وذكرهُ الخطيبُ -رحمه اللهُ- في جامعه (٧٤٠) عَن ابْن مَسْعود -رضي الله عنه- بلفظ: «حدِّث القَوْمَ ما أقْبَلَتْ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ، فإذا انْصرفَتْ قُلُوبهُمْ؛ فَلاَ تُحدِّثْهُمْ».

قيلَ لَهُ: وما علاقةُ ذلكَ؟

قَال: «إذا حَدَّقُوكَ بأبْصَارهمْ، فإذا تثَاءَبُوا، واتَّكأَ بَعْضُهُمْ على بَعْض - فقد انْصرَفَتْ قُلُوبُهُمْ، فلا تُحدِّثْهُمْ»

الاثنين ١٤/١/١٤٣٢هـ:

انْطَلَقْنا إلى منْطَقَة (دكسم)، وتقَعُ وَسْطَ الجزيرة، والطَّريقُ إليها عَبْرَ سلْسلَة جبليَّة جميلة(١)، لا تكادُ تُرَى مَنْظَرًا عَجيبًا إلاَّ ويُنْسى السَّابقَ، ويُشَوِّقُ إلى اللاَّحق، فتَوَدُّ لَوْ تُطوى لَكَ الجزيرةُ طَيًا، فَيَعْجلُ نظَرُكَ إلى ما غاب عَنْك من جَمَالِهَا، وأنْتَ مَعَ ذلك تَسْتَمعُ إلى صدَى مياهها، وهي تَخِرُّ ساقطةً منْ أعالي الجبال، وطُيُورهَا وهي تَشْدُو بأعْذَبِ الألْحَان، وتتأمَّلُ بَديعَ خَلْق الله في الجَبَل والإبل، والطَّيْر والحيوان، في النَّبات، في البرِّ والْبَحْر، وفي كُلِّ ما حَوْلَكَ!

﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾ [فاطر: ٢٧].

﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧-١٩].

وفي تلْكَ المَنْطَقَة وَجَدْنَا ما يبهج النفس، ويُسرُّ الخاطرَ، ويُشْعرُ بالأُلْفة والمودَّة مَعَ كُلٍّ ما حَوْلَنَا منَ الطبيعة والمَخْلُوقات ووَجَدْنا نسيمَ الجَبال غَيرَ نَسيمِ السُّهول، بَلْ أشْبَه ما يكُونُ بنَسيم الصَّبَا.

(١) لَقَدْ قامتْ شَركَةُ بن جريبة والمخزوم بتعبيد الطُّرُق، وبناء الجُسُور في أنحاء الجزيرة، ولا زَالَتْ، وتَصْميمُ الطُّرُق شهادةُ تَقْدير تعتزُّ بهَا هَذه الشَّركَةُ، فالمسافرُ في الجبالَ مُخَيَّلٌ لَهُ أنَّهُ يَطيرُ في الجَوِّ؛ لتمكنُّه منْ رُؤْية ما حَوْلَهُ، زدْ عَلَى ذلكَ إتْقَانَها لعَمَلها، فلا تَجدُ خَلَلاً في أيِّ طَريق ذَهَبْتَ إليهَا، رَغْمَ شدَّة الأَمْطَار وكَثَافَتها في بَعْض المَواسم، وأمَّا الجُسُورُ فالشركَةُ رائدةٌ في هذا المجال، ولَقَدْ أُتيحَتْ لنا زيارةُ هذه الشركة إلى مَأْمَنَها بدَعْوَة منْهُمْ، فأكرَمُونا غايةَ الإكْرَام، وألقى أخي خَالدُ مَوْعظَةً في مسجد الشَّرِكَة، حَضَرَ لها جُلُّ مَنْ فيها حتَّى الأجَانبُ، فجزاهُمُ الله خَيْرًا.

أيا جبلَيْ نعمانَ، بالله خليا نسيمَ الصَّبا يَخْلُصْ إليَّ نسيمُها
أجدْ بَرْدَها، أوْ يَشْفِ مني حرارةً على كبدٍ لم يبقَ إلاَّ صميمُها
فإنَّ الصبَا ريحٌ إذا ما تَنَسَّمَتْ(١) على كبْدِ مهْمُوم تجلَّتْ هُمُومُها

وواصلْنا سيْرَنا في تلْكَ المعالم الجليلة ذات الألْوان البديعة وبيْنما نعْجبُ بألوان الأرْض المختلفة، وجمال وَشْيها وسكونها، إذْ لاحَتْ لَنا بُنْيَةٌ فخْمَةٌ، تَمتازُ عَنْ غيْرها منَ البُنَى بحُسْن نظَامها وجمال هنْدامها وتَنْفرِدُ بموْقعها الخلاَّب الَّذي يأخُذُ بالألباب فسألْنا عنها فقيلَ إنَّها للرئيس(٢).

ثُمَّ سرْنا قليلاً، فوَجدْنا نهراً جاريًا، فوَقَفْنا فوْقَ الجسْر الَّذي يمرُّ النهر منْ تحته كما وقف غيْرُنا، فصلَّينا على شاطئ النَّهر فوْقَ الحشِّ، وإذْا بمنظر رائع، أنسانا جمالَهُ ما نالنا منَ النَّصب، فأمامَكَ جبالٌ مُتَسَلْسلَةٌ تَبْعثُ فيك الروْعةَ والجلال(٣)، وبعْدَ أنْ أدَّينا صلاةَ العصْر، قام أخي خالدٌ وألقى على مسامع الجميع كلمةً رائعةً كالشَّهْد، ابتدأ كلامَهُ وكأنَّهُ النَّدَى السَّاقطُ منْ أوْراق الشَّجر(٤).

---

(١) تنسَّمت الرِّيحُ: هبَّتْ هُبُوبًا رُوَيْدًا.
(٢) الرئيس: هو على بن عبد الله بن صالح رئيسُ الجمهوريَّة اليمنية السابق.
(٣) تتوزَّع الجبالُ في جهات مُتَفَرِّقة منَ الهضبَةِ الوُسْطَى، وأهمُّها سلسلةُ جبال حجهر، وأعلى قمَّة فيها يَبْلُغُ ارتفاعُها (١٥٠٥ متراتَ)، وتمتدُّ هذه السِّلْسلة منَ الشَّمال الشَّرْقيِّ إلى الجنُوب الغرْبيِّ لمسافة (٢٤ كم) تقريبًا، ويزدادُ ارتفاعُها في الوَسَط والشَّرْق، وتَضيقُ وتَنْخفضُ في الغَرْب، كما تُوجَدُ عَدَدٌ منَ الجبال الأُخْرَى، أهمُّها جبالُ فالجَ إلى الشَّرْق، أعلى قمَّة فيها (٦٤٠ مترًا)، وجبالُ مقولهل إلى الجنُوبَ الغرْبي أعلى قمَّة فيها (٩٧٨ مترًا)، وجبالُ كدح في الجنُوب، حَيْثُ يَبْلُغُ ارتفاعُها (٦٩٩ مترًا)، وجبالُ قطرية فيَ الجنُوب -أيضًا-، يَبْلُغُ ارتفاعُها (٥٦٠ مترًا).
(٤) لَقَدْ رَأيْتُ النَّاسَ يتجاوبُونَ معَ كلمات خالد كالنَّهْرِ الجاري على امْتداد مَجْراهُ، وذلكَ في المساجد، والمجالس وعلى شواطئ البحار والأنهار، ورءُوس الجبالَ، فلا أدْري أذلكَ منْ فَصَاحَتِهِ المُذْهلَة، أمْ منْ رقَّة قُلُوب أهْل الجزيرة؟!

لَمَّا جَلَسْنا مَجلسًا طلَّة النَّدى جميلاً ... وبُسْتَانًا من الرَّوْض ناديًا
أثار لنا طيبُ المكان وحُسْنُه مُنى ... فتمنَّيْنَا فكنتَ الأمَانيا

ولَمَّا رجَعْنا وجدْنا في طَريقنا قَطيعًا منَ الأبْقَار، فاشْتَهَيْنا الحليب، فأعْطَيْنا أحَدَ أطْفال القَرْيَة قوارير. لمياهٍ صحيَّةٍ، ليملأها حليبًا، فبادرَ مُسْرعًا، ورجَعَ مَسْرُورًا، فَقُلْتُ لصاحبه: ألا نُعْطيه مالاً؟، فقال: أخْذُ المال عنْدَهُم عارًا، فأمْسكْتُ، وتذكَّرتُ الحَكْمَة: «يا غَريبًا، كُنْ أديبًا». وتالله، لَقَدْ سرْتُ في طُول الجزيرة وعَرْضها، فما رأيْتُ سائلاً، ولَقَدْ وَجَدْتُ طفْلاً في ثياب رَثّة، فعَرَضْتُ عليه المالَ، فامتنع بشدَّة وكأنِّي أمامَ جبَل شامخ، وهكذا تكونُ العزَّةُ!

سَلاَمٌ لأهْل الوجْه ما غَرَّدَ القُمْريُّ(1) ... سَلاَمٌ لَهُمْ ما فاح عطْرٌ منَ الزَّهْر
أيَا مَوطنًا لا زال في خَيْر حُلَّة ... منَ الفطْرَة الحَسْناء والمَنْهج العطرى
وفيه منَ الأحْجار ما يَبْعَثُ المُنَى ... منَ الجُود والأخْلاَق واللُّطْف والطُّهْر!

الثلاثاء ١٤٣٢/١/١٥هـ:

توجَّهْنا إلى منْطقة (نوجد)، وهي منطقةٌ بديعةُ الجمال، نَدِيَّةُ الأفْياء، وارفةُ الظِّلال.

ففيها الجبلُ والسَّهْلُ، والنَّهْرُ والبحْرُ، والغابةُ والمطارُ، تَهْفُو أشجارُها، وتَشْدُو أطيارُها، وتنسابُ جداولُها، تقتربُ منَ الجبَل، فتسمعُ لصفير أطْيارها، وخَرير مياهها نَغَمات شَجيَّةً، تبلغُ في نَفْسك مالا تَبْلُغُ أيُّ نَغْمة، تبتعدُ قليلاً، فيستهديك البَحْرُ رُمَّته، وتموُّجه وحركاته، وروْعَته وبَهائه.

(1) القُمْريُّ: طائرٌ يُشْبهُ الحَمامَ القُمْرَ البيض.

أَوْديتُهَا فَسيحةٌ زاهرةٌ، يأخذُ منظرُها بلُبِّك كُلَّ مَأخَذ، فكأنَّ سَلْسَبيلاً بارداً يتسلْسَلُ إلى قَلْبك يَرْوي غُلَّتَه، ويُطْفِئُ لَوْعَتَه!.

ولَمَّا حَانَ وَقْتُ الصَّلاة، توافد النَّاسُ إلى مساجدِهمْ صغاراً وكباراً، وكأنَّنا في يومٍ منْ أيَّامِ الجُمَع، وذلكَ حالُ غالبِ مساجدِهمْ.

ولَكَ أنْ تعْجَبَ أنْ يكونَ مثْلُ هذا الإيمان راسخاً في نُفُوسِهِمْ، ولك أنْ تَعْجَبَ حينَ تَرى عامتَّهُمْ سُعَدَاءَ، لا يَشْكُون هَمّاً؛ لأنَّهُمْ قانعُونَ، ولا يُمسكُونَ في أنْفُسهمْ حقْداً؛ لأنَّهُمْ مُتساوون ولا يَشْعُرُون بخَوْف؛ لأنَّهُمْ آمنُونَ.

ووجدتُ بينَهُمْ زميلي سُلَيمان بَعْدَ فراق دام عشْرينَ حَجَّةً، يَزيدُ أوْ يَنْقُصُ، فعرفني قَبْلَ أنْ أعْرفَهُ، فَوَجَدْتُ منَ الأُنْسِ به والسُّكُون إليه ما وَجَدَهُ الذَّي يَقُولُ:

عَوَى الذِّئْبُ فاسْتأْنَسْتُ بالذِّئْب إذْ عَوَى ... وصَوَّتَ إنْسَانٌ فكدْتُ أطيرُ

وبَعْدَ الصَّلاة ألْقى أخي خالدٌ كلمةً، أنصتوا لها خاشعين، كأنَّهُمْ في رَوْضَة منْ رياض الجنَّة، أوْ تَحتَ ظلال مَعْرضِ قُصُورها، بَعْدَها رَحَّبُوا بنا، وهَشُّوا بلقائنا، ثُمَّ ودعناهم إلى قَرْيَة غَيْرِها!

الأربعاء ١٤٣٢/١/١٦هـ:

اتَّجَهْنا إلى منْطقة (حالة) بَيْنَ ألْوان منَ النَّبات مُتشابهات وغَيرِ مُتشابهات، وأسْراب من الطَّير، تنتقلُ مَنْ غُصْن إلى غُصْن، وتصعدُ نَحْوَ السَّماء، ثُمَّ تَهْبطُ لتُصافحَ الماءَ، وبينما السَّيارة تسيرُ بك في طَريق مُلْتوية ومُسْتَوِيَة، والجُسُورُ تَحتَها الغُدْرانُ مُطَّردةً مُتَسَلْسلةً منبسطة تبسط النجوم البيضاء في الديباجة الزرقاء.

انظرْ حوْلَكَ، ترَى قَرْيَةً مُتواضعةً، تتوسَّطُها مئْذَنَةٌ شامخةٌ، وأمامَها مدْرَسةٌ حَديثةٌ، وحَوْلَها مَرْعىً خَصيبٌ، والأغنامُ تتنقَّلُ في تلْكَ الأفْنان في مَرحٍ عَجيب(١)، وقَدْ تمُر قليلاً، فتَرَى الصُّورةَ تتجدَّدُ(٢)، وأنت معَ ذلكَ تتقلَّبُ في أَعطَافِ تلْك الخمَائل الخَضْراء وتَقرأُ آياتِ الجمال في كُلِّ ما حوْلَكَ.

إنَّها محَمَيَّةٌ طبيعيَّةٌ، على الفطْرَةِ النَّقيَّةِ البيضاء، لا تَعْبَثُ الحَضارَةُ بجمالها، ولا المَدَنيَّةُ في هوائها(٣).

وفي حالَةٍ أوْقَفْنا رَحْلَنا، واستعدَدْنا لتسلُّقِ الجبال، وكان سَيْرُنا على بسَاطِ رَوْضٍ منَ الأشجار الكثيفة، والنَّباتات النَّادرة، وبَعْدَ حَوالي ساعَتَيْن وَصلْنا إلى بوَّابَةِ كَهْف (حوق) الشَّهير(٤)، وقَبْلَ أنْ نَدْخلَ الكهْفَ، أمْطرَت السَّماءُ، فابتسمت الرِّياضُ الزَّاهرةُ للسُّحُبِ الماطرة.

---

(١) إنْ تَعْجبْ فعَجَبٌ أنَّ الحيواناتِ قَدْ تَوَلَّى عنها راعيها، وقَدْ تتوالد وتتناسَلُ في مَرْعاها، وقدْ تَلْبَثُ أيَّامًا لا يَزُورُها ربُّها؛ فَلَوْ فتَّشْتَ الجزيرةَ، وقَلَبْتَها رأسًا على عقب، ما وَجَدْتَ سَبُعًا، والسَّرِقَةُ عنْدَهُم عارٌ ونارٌ وشَنَارٌ، ولا سيما سَرِقَةُ الحيوانات، فلا أَحَدَ يتعرَّضُ لها، ولَوْ قَتَلَهُ الجُوعُ!

وكذلكَ الثَّأرُ لا يُوجَدُ عنْدَهُمْ، بَلْ أخْبَرَني أحَدُ الجُنُود: أنَّهُم مُنْذُ عَشَرات السِّنين لم يَحْدُثْ فيهمُ القَتْلُ، وأخبَرَني غيْرُهُ: أنَّهُمْ إذا اختَلَفُوا، وحَمِيَ الوَطيس، رَمَوْا بأسْلحَتِهِمْ بعيدًا، إنْ كان لَهُم أسلحةٌ، وأسْلحَتُهُمُ العصيُّ والجَريد!

(٢) أيْ: أنَّنا نَرى قَرْيَةً، ومَسْجدًا، ومَرْعى خَصيبًا، وهكذا.

(٣) أيْ: أنَّ هواءَها نَقيٌّ، لا تَلَوِّثُهُ ثوراتُ الصِّناعة منْ عَوادم، وغازات، ونَحْو ذلكَ، مِمَّا قَدْ يُسَبِّبُ تَلَوُّثًا في البيْئة.

(٤) الجزيرةُ تُعَدُّ الأُولَى في العالَم منْ حَيْثُ عَدَدُ الكُهُوف، وعَدَدُ الكُهُوف والمغارات المُكْتَشفة حتَّى الآنَ تتجاوزُ أكْثَر منْ (٤٠) كَهفًا ومغارةً، وأبرزها مَغارةُ (جبينه شبهن) بمنطقة (دكم) إذْ يَصلُ طُولُها إلى (سبعة ونصف كيلو متر)، يلي ذلك كَهْفُ (حوق)، إذْ يَبْلغُ طُولُهُ (ثلاث كيلو متر مربع).

فقرَّرنا أنْ نَخُوضَ مُغامرةً داخلَ الكَهف، وقَبلُ أنْ نَدخُلَهُ، رأيتُ ثلاثةَ شباب، اثْنان في المُقدِّمة، والثَّالثُ منْ ورَائهم، فصافَحْتُهُم؛ لأنَّهُم عربٌ، وذهَبْتُ أُصافحُ الثَّالثَ، لكنْ أمْسَكْتُ؛ فملامحُهُ تُوحي لي أنَّهُ فتاةٌ في ثياب رَجُل، فصرفتُ وَجْهي عنها سريعًا، ولله الحَمْدُ!(١).

ثُمَّ تجوَّلْنا داخلَ الكَهْف، والهُدُوءُ يَلُفُّ المكانَ وقطَراتُ الماء الَّتي تُفْرزُها جُدْرَانُ الكَهْف تتساقطُ كقطَرات النَّدى، ممَّا يُعْطي المكانَ بُعْدًا جماليًا، زدْ نَقَاءَ الهواء الَّذي تَشْعُرُ منْ خلاَل استنشاقكَ لَهُ أنَّكَ استَعَدتَ الكثيرَ منْ حَيَويَّتكَ ونَشاطك!

ويَرْتَفعُ سَقفُ الكَهْف عَنْ أرْضه منْ ٥٠ مترًا إلى ١٠٠ مترٍ، وعَرْضُهُ كذلكَ، أوْ يزيدُ أوْ يَنْقُصُ في أماكنَ مُعيَّنة في الوسَط والأطْراف، وبَعْدَ حوَالي ساعة منَ المَشْي داخلَ الكَهْف نُلاحظُ نُقُوشًا وآثارًا تاريخيَّةً مُتعمِّقةً، ولمَّا طالت الطَّريقُ داخلَ الكَهْف، وخَشينا نَفادَ بطاريَّات الكشَّاف - قرَّرْنا الرُّجُوعَ، لكن بعض الزُّملاء أبَوْا إلاَّ التَّوغُّلَ داخلَ الكَهْف، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ علَيْكُمْ ورحْمَةُ الله وبركاتُهُ، ثُمَّ رَجعْتُ فَرَجَعُوا!

فَخرَجْنا وقَدْ رقَّت السُّحُبُ، وأرْسلَت الشَّمْسُ بَعْضَ الأشعَّة البَيْضاء في أنْحاء الجزيرة، فَلَمْ نَشْعُرْ بجُوعٍ ولا ظَمإٍ، ولا نَطْلُبُ لأنْفُسنا راحَةً في الحَياة فَوْقَ المنزلة الَّتي نَحْنُ فيها، حاشى إيمانَنا؛ فَهُوَ سرُّ سعادَتنا، فَلَوْلاَهُ ما رأيْنا جمالاً، بَل الجمالُ بدُونَ إيمان ظلمةٌ حالكةٌ، ومعيشةٌ ضنْكٌ!.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

(١) لَوْ أنَّ حُكُومَتَنا ألزمت السَّائحات بارتداء الحجاب، لكان ذلك مَنْقَبَةً لها، بَلْ ذلك واجبٌ عليها؛ لئلاَّ يُفْسدْنَ شبَابَنا.

فالإيمانُ هُوَ سرُّ الجمال في كُلِّ ما حَوْلَكَ، فَمَنْ كان مُؤْمنًا بخالقه، لا يُشْركُ به شَيْئًا -يَرى كُلَّ شَيْء جميلاً، مهْما أجْدَبَت الأرْضُ، وشَرب قَراح الماء[1]، وأكَلَ بَسيطَ المآكل، ولَبس ما يستر عورَتَهُ، ويجمعُ شَمْلَهُ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وتأمَّلْ ذلك المُؤْمنَ المُوحِّدَ الَّذي ساحَ في الأرْضِ مُتأمِّلاً في مَخْلُوقَات الله، وهُوَ يَقُولُ:

فَحينًا بطوْد[2] تُمطرُ السُّحبُ دُونَه[3][4] أشَمَّ مُنيف بالْغَمَام مُؤَزَّرُ
وحينًا بشَعْب بَطْن وادٍ كَأنَّهُ حَشَا قَلَم تُمْسي به الطَّيْر تَصْفِرُ
هُنَالك يَصْفُو لي منَ الْعَيْش وِرْدُهُ وإلاَّ فَوِرْدُ العَيْش رَنْقٌ مكَدَّرُ
فإنْ يَبسَتْ ثَمَّ المرَاعي وأجْدَبَتْ فَرَوْضُ العُلاَ والعلْم والدِّين أخْضَرُ

فَهُوَ يَقُولُ: إنْ يَبستَ الأرْضُ وأجْدَبَتْ فإيمانُهُ مُورِقٌ، يَجدُ فيه سعادتَهُ، وفي ظلاله يَجدُ راحَتَهُ.

فإنْ يَبسَتْ ثَمَّ المرَاعي وأجدبت فَرَوْضُ العُلاَ والْعلْم والدِّين أخْضَرُ

ثُمَّ هَبَطْنا الجبَلَ وَسْطَ غابات منَ الأشْجار الكَثيفة، والنَّدَى يَسْقُطُ عَلَيْنا منْ وَرَق الشَّجَر، بَلْ كُلَّما مرَّ أحَدُنا تَحْتَ شَجرة إلَى الآخَرُ وهزَّها، فيسقطُ النَّدَى كالمطر على الأوَّل، وهكذا في مَرَح عَجيب، حتَّى بَلَّلْنا ثيابَنا، كما لَوْ أصابَتْها السَّماءُ.

(١) القَراح -بالفتح-: الماء لا يُخالطُهُ ثُقْلٌ منْ سَويق وغَيْره.
(٢) الطَّوْد -بالفتح-: الجبل العظيم.
(٣) الجبل الأشَمُّ: الطَّويلُ الرأس.
(٤) مُنيف أيْ: عال مُرْتفع.

ألمْ أقُلْ: «إنَّنا تحوَّلْنا إلى أطفال كبار»!

فَنَحْنُ نُحبُّ الجمالَ، ويُعْجبُنا وَصْفُ الرَّوْض، كما يُعْجبُنا مَرْآهُ، فَمن صاعد إلى رُءُوس الجبال، وسَارب في سَهْل الرِّمَال، وواقف مَوْقفَ الإعجاب والإجْلال بيْنَ جمال الأنْوار وأنْوار الجمال!.

فكُنَّا -ولله الحَمْدُ- نَجدُ منَ السَّعادة والهناء مالا يَجدُهُ الهائمون في ثَغر الحَسْناء، والمُوَفَّقُ مَنْ وفَّقهُ اللهُ للحياة الطَّيِّبة.

في إحْدَى القُرَى أضافنا الأخوةُ أحْسَنَ ما تكونُ الضِّيافة، فجزاهُمُ الله خيْراً. وبعْدَ أن استَرَحْنا قليلاً رَجَعْنا، وفي قَرْية تُسَمّى (القرية) حطَطْنا رَحْلَنا، وصلَّينا المغربَ، ثُمَّ ألْقى أخي خالدٌ مَوْعظةً مُؤَثِّرةً على جَمْع غفير منَ النَّاس، فكأنَّما الغَيْثُ أصاب أرْضًا نقيَّةً، قَبلَت الماءَ!، وقلَّ أنْ تَجدَ فيها أجادبَ.

ثُمَّ ودَّعْنَاهُمْ ورَجَعْنا أدْرَاجَنا[1] إلى (حديبو).

الخميس ١٤٣٢/١/١٧هـ:

جاء يَوْمُ الخميس، فانطلَقْنا إلى مديريَّة (قلنسية)، وتَبْعُدُ عَنْ (حديبو) بحواليْ (٨٠ كم)، وهي أطْولُ رحلة قَطَعْناها!

وكان مُرُورُنا إليها وسطَ جَوٍّ رائق، وسماء مُصْحيَة، وأرْض تَهْتَزُّ عَنْ أوْرَاق خَضْراءَ لامعة، وهواء فاتر رَقْرَاق، ينبعثُ في النَّفْس، فيتركُ فيها أثَراً هادئًا لذيذًا.

(١) رجَعَ أدْراجَهُ أيْ: رجَعَ في طريقه الَّذي جاء فيه، والأدراج: الطُّرُقُ، واحدُها درَجٌ -بفتحتيْن-.

فسلْسلَةُ القُرى حوْلَكَ كَعقُود اللُّؤلُؤ، والمياهُ المُتدفِّقةُ من أعالي الجبال تَنْتَشِرُ الخِصبَ حَولها نَثرًا، وتَدُورُ بالرَّوابي والهضاب قلائدَ وعُقودًا. ثُمَّ استَرَحْنا قَليلاً في قَرْيَة (ديْحَمْص)، واجتمعنا بأهالي القرية في مسجد آل نهيانَ، فألقى عليهم أخي خالدٌ مَوْعظةً، حَنَّ لَها النَّاسُ حَنينَ اللَّيل إلى مَطْلَع الفَجْر، والجَدْب إلى ديمة(١) القطْر.

ثمَّ ودَّعْنَاهُمْ، وانطلَقْنا وسَطْ تلْكَ الخَمائل الخَضْراء، وفي قَرْية تُسمى (لسكة) استرحنا قَليلاً، فتسارع أَهْلُها لإكْرامنا، فَسَقَوْنا حَليبًا مُعقَّماً لذيذًا، فسقاهمُ اللهُ من سلْسَبيل الجنَّة.

وقَبْلَ أن نُودِّعَهُمْ، عَرَضْنا على بَعْض صغَارهمُ المالَ، فامتنع بشدَّة، وكأنَّنا نُعْطيه جَمرًا!

ثُمَّ عاوَدْنَا رحْلَتَنا باتِّجاه سلْسلَة منَ الأوْديَة الَّتي تَأسرُ النُّفُوسَ بحُسْنها إلى الهضَاب البديعات، إلى الجبَال الشَّامخات.

وكانَ مُرُورُنا بقَرْية لَمْ تَرَ العَيْنُ مرآهَا، وتُدْعَى (عقبة غدها)، وتَقَعُ في واد تُحيطُ به سلْسلَةٌ منَ التِّلال والجبال والأزْهار، وتمتلىءُ بالأشْجار صنْوانًا وغَيْرَ صنْوان، وجماعاتُ الطَّير فيها صادحةٌ فَوقَ زَواهر الأغْصان، فَسُبْحَان الَّذي خلَقَ فسوَّى، وقَدَّرَ فَهدَى!

ففيها النباتاتُ العطْريَّةُ، وأشجارُ اللُّبان الَّتي اشتهرتْ بها الجزيرة مُنْذُ آلاف السِّنينَ، وفي ظَلال تلْكَ الأشْجار حَطَطْنا رَحْلَنا وسارعنا إلى قَطْف اللُّبانَ منْ جُذُوع الأشْجار، والتَّمتُّع بجمال الطَّبيعة، والسُّكون إليها.

---

(١) الدِّيمة -بالكسر- المَطرة الخفيفة، والجَمْعُ دِيَمٌ، ودُيُومٌ.

ففي كُلِّ زَهْرة ثَغْرًا باسمًا، وفي كُلِّ شَجَرة عُودًا ناغمًا، ثم عاوَدْنا سَيْرَنا، حتَّى لاحَتْ لنا مدينةٌ جميلةٌ في مَبانيها، فلم نَشُكَّ أنَّها (قلنسية)، فقرأنا فيها آيات الجمال والجلال، ولَوْعَةَ الحُبِّ في نُفُوس أهْلها!

فأوَّلَ ما دَخلْناها اشْرَأبَّت الأعناقُ لاستقبالنا، فما تَلْفظُ بقَوْلك السَّلامُ علَيْكُمْ، إلاَّ تهتزُّ النُّفُوسُ اهتزازَ الرِّياضِ النَّظِرَة للسَّماء الماطِرة، فَتُجيبُكَ بلَفْظ عَذْب: وعليكمُ السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ!

فجزاهُمُ اللهُ خيْرًا، فما أرقَّ قُلُوبَهُمْ!، وما أحْنَاهُمْ على الغَريب!، وما ألَذَّ كَرَمَهُمْ!، نَعَمْ إنَّ للكرمِ لَذَّةً، ولا سيَّما إنْ صَدَرَ من نَفْس كَريمة نقيَّة طاهرة، وعلى ذلك دلائلُ وبراهينُ يَعْرفُها المتوسِّمونَ!.

فَالعَيْنُ تَنْطقُ، والأفْواهُ صامتةٌ حَتَّى تَرَى من صَمِيم القَلْب تبْيَانا

بَعْدَها تجوَّلْنا قَليلاً في (قلنسية)، فما أجْمَلَهَا؛ وما أرْوَعَها!، تخالُها ثَغْرًا منضدًا، يبتسمُ لك أرقَ ابتسامٍ وأعْذَبَهُ، وعلى أهْلِهَا نُورُ البَسَاطة والطَّهارة، والنُّبْل والشَّرَف!

رَحَّبُوا بنا أجْملَ تَرْحيب، وأضافونا كأجملِ ما تكونُ الضِّيافةُ، وفَتَحُوا لنا مساجدَهُمْ، كما فَتَحُوا لنا قُلُوبَهُمْ!

فقامَ أخي خالدٌ، ففجرَ لَهُم يَنْبوعًا، كأنَّ القَلْبَ مَنْبَعُهُ، والقَلْبَ قَرارُهُ فيما نَحْسَبُهُ، والله حَسيبُهُ!

والنَّاسُ مَعَ ذلكَ يمنحونه أسْمَاعَهُمْ وإقبالَهُمْ، بَلْ وُدَّهُمْ وصفاءَهُمْ، فجزاهمُ اللهُ خيْرًا، وأصْلَحَ لهم أزْواجَهُمْ وأبناءَهُمْ، وباركَ لهم في أهْلهِمْ وما لهم!

ثُمَّ بَعْدَ ذلكَ توجَّهْنا إلى بَيْت أحَدهم، فقدَّمُوا لنا كُلَّ ما لَذَّ وطاب منَ المطاعم والمشارب، حتَّى تحيَّرْنا ماذا نأكلُ، فنحنُ طُلاَّبُ علْمٍ يكْفينا القليلُ ثُمَّ كان وداعُنا لَهُمْ، وما أصعبَ لحظَةَ الوداع! لكنَّنا خفَّفْنا عَنهم بأنَّ لنا زملاءَ قادمينَ -إنْ شاء اللهُ- فلا تتوان- يا طالبَ العلْم- عَنْ زيارة تلْكَ الجزيرة الطَّيِّبة، فإنَّها كتابُ الطَّبيعة المفتوح الَّذي لا يقبلُ تأويلاً، ولا يحتاجُ إلى تَفْسيرٍ!

كُلُّ السِّياحات في الأَرْجاء باهتةٌ ... ما لَمْ تكُنْ مرحَلَةً في عَذْب أَفْنَانك
وكُلُّ وَرْد تَراهُ العينُ تُنْكرُهُ ... إلاَّ الوُرُودَ الَّتي في دَوْح[1] بُسْتَانك
أَغُوصُ في بَحْرك الأوفى فيُسْعدني ... ما فيه منْ دُرِّك الأَسْمَى ومَرْجَانك
الْقَلْبُ حينَ غيَابي عَنْك في ظَمَإ ... فاسقِّي بشَهْد الْهَوَى وجْدَانَ عَطْشَانك
كَمْ عِشْتُ في ظُلُمات التِّيه مُجْدبةٌ ... مَشَاعري فاهْتَدَى قَلْبي لعنوانك

الجمعة ١٨/١/١٤٣٢هـ:

جاء يومُ الجُمُعَة، فاستعدَدْنا لها، كما يَسْتعدُّ كُلُّ مُسْلم؛ لأنَّها يَوْمُ عيد، ثُمَّ توجَّهْنا إلى (موري)، وموري وما أدْراكَ ماموري؟! موري بلاد (سالم دوهر) الَّذي كان من أبرِّ النَّاس بنا، وأحنِّهم علينا!

رَوْضَةٌ أُنُفٌ[2]، وجنَّةٌ فَيْحاءُ منْ جنَان الأَرْض، تَحُفُّ بها الأَعْشَابُ المخضرَّةُ، كما تحُفُّ بالعيُون أَهْدَابُها، تَزْخَرُ أَشْجارُها[3]، وتَرِنُّ أطْيارُها،

(١) الدَّوْح -بالفتح-: جَمْعُ دَوْحَة، وهي الشَّجرة العظيمة.
(٢) الأُنُفُ منَ الرِّياض -بضمَّتيْن- ما لَمْ يَرْعَهُ أحَدٌ.
(٣) تَزْفَرُ أَشجارُها -من باب قَطَعَ-: تمتدُّ وترتفعُ.

وترُفُّ ظلالُه، وتتهادى نسائمُها، ومِمَّا يُعْجِبُ النَّاظرَ في هذه الرَّوْضَةَ الزاهرة مَنْظَرُ المياه المُتدفِّقة من أعالي الجبال، تنثرُ الخصبَ حَولَها نَثْراً، وقَبْلَ أنْ تَعْبُرَ الجسْرَ، وأنْتَ في طريقكَ مِنْ (حديبو) إلى (موري)، تأمَّلْ تلكَ المناظرَ الفاتنة المُؤثِّرة، ولَكَ أنْ تَسْألَ نَفْسَكَ: هَلْ رأيْتَ مَنْظراً أبْدعَ وأجْمل، وأعْلَق بالقُلُوب، وأشْهى إلى النُّفُوس منْ مَنْظَرِ ذلكَ المكان السَّاحر البَديع؟!

تأمَّلْ عَنَ شمَالكَ غابات النَّخيل وهي تغرقُ في المياه، فالنَّهْر يَمرُّ حَولَها، ليستقرَّ في البَحْرِ عَنْ يَمينك، ثُمَّ تأمَّلْ مَنْظَرَ الطُّيُور وهي مُقْبلةٌ منْ شاطئ البَحْر، تُغَرِّدُ أغاريدَهَا المُختلفةَ الألْحان، في رَوْنَق بَديع يَملأُ العَيْنَ بَهْجَةً، والقَلْبَ رَوْعَةً! والحيوانات الأليفة تَنْتَشرُ في الوادي المُتَشعِّب الأطْراف.

وبَعْدَ قليل وَصَلْنا إلى بوَّابة المعسكر، فلَمَّا رأى الحارسُ وُجُوهَنا، رحَّبَ بنا، وأذنَ لنا بالدُّخُول بَعْدَ أنْ أخبَرْنَاهُ: أنَّنا مَدْعُوُّونَ منْ قبَل قائد اللواء للخُطْبة.

وقَدْ وَجَدْنا منَ الحَفَاوَة والتَّرحيب ما لا يَصفُهُ بنانٌ!، فَشكرَ اللهُ للعميد خير أن كَرَمَهُ، وللأرْحبيِّ تواضُعَهُ، وللضبَّاط حُنُوَّهُمْ، وللجُنُود احتفاءَهُمْ!

وفي المساء ذَهَبْنا إلى (شركة ابن جريبة والمخزوم)، وفي مسجدها المُبارك ألقى أخي خالدٌ نصائحَ غاليةً، اجتمع لها أُناسٌ منْ أماكنَ شَتَّى، ضُمَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض على بُعْد دارهم، فتكوَّنَتْ منهُمْ أُسْرَةٌ واحدةٌ، مُتحابَّةٌ مُتآلفَةٌ، يُغْنيها اجتماعُها واتِّفاقُها عَن الأهْل والمال والنَّسَب، ولَقَدْ أحاطُونا بعَطْفهمْ، كأنَّما يتفجَّرُ منْ قُلُوبهم يَنْبُوعٌ صَافٍ منَ الرِّقَّة والرَّحْمة، وكأنَّما يَجْري ماءُ البِشْرِ في وُجُوههم طَلْقًا عَذْبًا، فجزاهُمُ اللهُ خَيْراً.

السَّبت ١٩/١/١٤٣٢هـ:

توجَّهْنا إلى قَرْية (غُبَّة) وسطَ مناظرَ بديعة، يستمدُّ جمالُها ورونَقُها من كتاب الطَّبيعة المفتوح، فَقَدْ سرنا وَسْطَ وادٍ تكسُوهُ الخُضْرة، وهُنَاكَ تَنْتَشرُ الأغنامُ، تأمَّلْ هُنَاكَ أغنامًا ذاتَ قُرُون طويلة، تُشْبهُ قُرُوتَ الغزْلان، لكنَّها أليفةٌ، ثُمَّ ارجع البَصرَ إلى هُنَاك، تجدُ طُيوراً لَمْ تعْهَدْها من قَبْلُ، فَسُبحَانَ الخالق لما يشاءُ كما يشاءُ!.

وفي وَسَط القَرْيَة تَجدُ سداً عظيماً، لا يَنقطعُ ماؤهُ أبَدَ الأبد، إنَّهُ سَدٌّ طبيعيٌّ(١)، ثُمَّ حانَ وَقْتُ صلاة العَصْر، فيخرجُ أهالي القَرْيَة إلى مَسْجدهمْ ما بَيْنَ طفْلٍ وشَابٍّ، وكَهْلٍ وأشْيَبَ، فكأنَّهُ لَمْ يَبْقَ في البَيْت إلاَّ ربَّةُ الخُدْر؛ فصلاتُها في بَيْتها خيرٌ منْ صلاتها في مَسْجد قَوْمها!

وذلكَ شيْءٌ مألُوفٌ، فالمساجدُ عامرةٌ بأهْلهَا، حتَّى صلاةُ الفَجْر قلَّ أنْ يتخلَّفَ عنها مُتخلِّفٌ، ولعَلَّ ذلكَ سرُّ سَعَادَتهمْ، فَهُمْ على فَقْرهمْ لا يَطْلُبُونَ لأنْفُسهمْ منزلةً في الحياة فَوْقَ المنْزلة التي هُمْ فيهما!

وأيُّ نَعيم يَتَلَذَّذُ به العَبْدُ أعْظَمَ منْ نعْمة الهُدَى والإيمان، فَمَنْ عَرفَ اللهَ أحَبَّهُ، ومَنْ أحبَّهُ أطَاعَهُ، ومَنْ أطاعَ اللهَ فَقَدْ ظَفرَ بالحياة الطَّيِّبة، مَعَ ما يَنْتَظرُهُ منَ الجزاء العظيم، والنَّعيم المُقيم في جنَّة عَرْضُها السَّموَاتُ والأرْضُ!

ثُمَّ بعْدَ الصَّلاة ألْقَى أخي خالدٌ مَوْعظَةً اشرَأبَّتْ إليها الأعْنَاقُ، كأنَّما ينثرُ عليهمْ قلائدَ وعُقُوداً، وهكذا حالُهُمْ في كُلِّ مَسْجد نَزلْنَاهُ، فجزاهُمُ اللهُ خيراً، وجَنَّبنا وإيَّاهُمُ الفتنَ، ما ظَهرَ منْها وما بَطَنَ!

---

(١) قيل لنا: إنَّ ذلكَ السَّدَّ حصَلَ بفعْل نَيْزك صغير، سَقَطَ في الزَّمان الماضي، واللهُ أعْلَمُ.

ثُمَّ بعْدَ الصَّلاة ذَهَبْنا إلى تُرْعَة طبيعيَّة، دَخلَها البَحْر، والأسْماك الصَّغيرة تلْعبُ فيها، ثُمَّ توغَّلْنا داخلَ الوادي، فوَجَدْنا سداً طبيعيّاً أكْبَرَ منَ الأوَّل، لكنَّ المياهَ لا تتدفَّق فيه تَدَفُّقها في الأوَّل إلاَّ قليلاً وبَعْدَ رحلَة مُمْتعة عُدْنا إلى (حديبو)، والرَّوابي المُشْرفةُ على الوادي منَ اليَمين عنْدَ عَوْدَتنا تتراءَى لعَيْنِ الناظر كأنَّها قبابٌ لطَافٌ، أوْ أهرامٌ مكْسُوَّةٌ برقاق الخَزِّ والدِّيباج!، والجبَالُ منْ وَرَائها تَتَألَّقُ تَألُّقَ التِّيجَان المُرصَّعَة!

واستَمررْنا في سَيْرنا حتَّى دَخَلْنا العاصمةَ (حديبو)، واستمررْنا في سَيْرنا حتَّى وَصَلْنا إلى منطقة (معنيفو) خَلْفَ العاصمة وهي قريةٌ جميلةٌ، تَستندُ إلى جبال (حجهر)، كأنَّها جنَّة فَيْحَاءُ منْ جنَان الأرْض، وتُحيطُ بها الغاباتُ منْ جهاتها، ويتوسَّطُها نَهْرٌ عَذْبٌ سائغٌ لَذيذُ الطَّعْم، ثُمَّ توغَّلْنا داخلَ الغابة، حتَّى وَصَلْنا إلى قَرْية تَحْجبُها الأشْجارُ من جهاتها كالعَرُوس حينَ تَرْتَدي حجَابَها، واسْمُها (البَيْضَاء)، بيضاءُ تُزْهَى بحُسْنها، وتُزْري بكُلِّ قَرْيَة زُرْنَاها، فإنْ لم تكُنْ هي ملكةَ جمال الجزيرة، فهي (عقبة غدها)، والتي مرَّ ذكْرُهَا، والنَّاس فيما يَعْشَقُونَ مَذاهبُ!.

وفي قَرْيَة (البيضاء) صَلَّيْنا المَغْربَ في مسجد فسيح، وقُلُوبُ أهْلها لها من اسم قَرْيَتهم نَصيبٌ، فوجُوهُهُمْ مُشْرقةٌ إشرَاقَةَ الفجْر، فما رآنا أحدٌ إلاَّ خَفَضَ جَناحَهُ، وأقْبَلَ علينا، ورحَّب بنا.

وبَعْدَ الصَّلاة ألْقى عليهم أخي خالدٌ مَوْعظةً اشرَأبَّتْ لها أعناقُهُمْ فكأنَّما يُطعمُهُم الشَّهْدَ، وشفَّعها بنصائحَ غالية، كأنَّما يُعْطيهمُ المسْكَ!.

وبَعْدُ رَجَعْنا إلى (حديبو)، وقَدْ نَتَفْنا ريشنا رَغْماً عنَّا، وتَعلَّمْنا منهُمْ دَرْساً في التَّواضُع، فجزاهُمُ اللهُ خَيْراً!.

وفي (حديبو) صلَّينا العشاءَ في أحَدِ مساجدها، وألقى عليهم أخي خالد موعظةً، وهكذا يَنبغ لطالب العلم أنْ يكونَ كالغَيْثِ المُبارك أينما وَقع نَفَعَ، والغَيْثُ لا يَصْدُرُ إلاَّ منْ قَلْبٍ عامر بالإيمان، فمَنْ رأى في نَفْسه فُتوراً وكَسلاً، فعليه أنْ يَتحسَّسَ إيمانَهُ؛ خشيةَ ألاَّ يكونَ وراءَ ذلكَ حبَّةُ خَرْدَلٍ منْ إيمان!

الأحَد ١٤٣٢/١/٢٠هـ:

صَلَّينا الفَجْرَ في أحَدِ مساجد (حديبو)، بَعْدَها ألْقى أخي خالدٌ كلمةً طيِّبةً على جُموعِ المُصلِّينَ، ثُمَّ ودَّعْنَاهم، وقَبْلَ أنْ نُودِّعَ الشَّبابَ السَّلَفِي، ذَهَبْنا إلى المُسْتَشْفى لزيارة مَرْضَاهُمْ، ولمَّا رأينا الحالَ في المُسْتشفى تذكَّرْنا نعْمةَ الله علينا في الصِّحَّة.

وقَدْ رَحَّبَ بنا النَّاسُ، وفَرِحُوا لمَقْدَمِنَا، ووَجَدْنا رَجُلاً طاعنًا في السِّنِّ، كان يَفْرَحُ بمَقْدَمنا إلى المَسْجد الَّذي هُوَ فيه، ويُرَحِّبُ بنا، ويَقُومُ لاستقبالنا، فلمَّا رآنا ظهر عليه أثَرُ الفرَح والسُّرور، ورحَّبَ بنا، ثُمَّ ودَّعْناهُ، جَزاهُ اللهُ خَيْراً.

ثُمَّ ودَّعْنا الشَّبابَ، وشَيَّعَنَا[1] بَعْضُهُمْ إلى المَطَار، وفي المَطَار وَجَدْنا الشَّيْخَ فؤاداً سعيديَّ مديرَ مشتروات (شركة ابن جريبة والمخزوم) قَدْ سَبَقَنا، فسهَّلَ علينا المُعاملةَ، فجزاهُ اللهُ خيراً.

ثُمَّ وَدَّعْنا الجميعَ وذَهَبْنا.

وَدَّعْنَاكُمْ واللهُ يَعْلَمُ أنَّنَا ... مَا كُنَّا نَرْضى أنْ يُفَرِّقَ جَمْعَنَا

عَزَّ اللِّقَاءُ على الأحبَّةِ بَعْدَمَا ... كانتْ لقاءاتُ الأحبَّةِ مَغْنَمَا

---

(١) يُقَالُ: شَيَّعَ فُلَانٌ فُلَانًا: إذا خرَجَ مَعَهُ ليُودِّعَهُ ويُبلِّغَهُ مَنْزِلَهُ.

الفهرس

●●●